رسائل ابن حزم الأندلسي

٣٨٤ - ٤٥٦ هـ

الجزء الثالث

١ - رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي.
٢ - رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف.
٣ - رسالة في الرد على الهاتف من بعد.
٤ - رسالة التوقيف على شارع النجاة.
٥ - رسالة التلخيص لوجوه التخليص.
٦ - رسالة البيان عن حقيقة الإيمان.
٧ - رسالة في الإمامة.
٨ - رسالة في حكم من قال إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين.

تحقيق

الدكتور احسان عباس

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

ـ ٥ ـ

رسالة التلخيص لوجوه التخليص

[٢٣٥ ب] بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله .

قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم رحمه الله : سلام عليكم أيها الاخوة الفضلاء ، والصدقاء الكرام ، المغتبَط بودهم ، الذي هو أفضل من القرابة الواشجة والمجاورة الدائمة ، فقد بشَّرَ الله عز وجل المتحابين فيه بأتمِّ البشرى ، وأنه يُظِلُّهم يومَ لا ظلَّ إلا ظله . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو الموفق للخير ، الواهب للنعم ، وأسأله الصلاة على نبيه ورسوله وصفيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأستوهبه تعالى لي ولكم المزيدَ من كل حسنة مقربة منه ومبعدة [1] من سخطه .

قال أبو محمد : أما بعد ، فإن كتابكم ورد عليّ وفي أوله وصفكم لي بما لستُ أهلَهُ عند نفسي ، ولكني أحدِّث بنعمة الله تعالى عليَّ مؤتمراً لأمره إذ يقول عز وجل ﴿ وأمّا بنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى : ١١) ، فأقول : بلى ، إن لله تعالى عندي نعماً أنا أسأله ثم أرغب إليكم بالأمانة التي عرضها الله تعالى﴿ على السمواتِ والأَرْضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أن يَحمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها وَحَمَلَها الإِنْسانُ إنّه كانَ ظَلوماً جَهُولاً﴾ (الأحزاب : ٧٢) أن تسألوه تعالى لي ولكم إذ يخفف في سجودكم في أواخر ليلكم ، أن لا يجعل ما وضع عندنا من مادة الفهم في دينه فتنةً لنا في دينه ، ولا حجةً علينا في الآخرة ، وأن يجعل ما أودعنا من ذلك عوناً على طاعته في هذه الدار ، وزلفى لديه تعالى في دار القرار ، آمين آمين .

والذي ذكرتم من وجوب الإرشاد للمسترشد ، ولزوم البيان لمن سأل ، فنعم ، سمعاً وطاعة لأمر الله تعالى إذ يقول : ﴿ إنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ البيِّناتِ والهدى مِنْ بعدِ ما بيَّناهُ للناسِ في الكتابِ أولئك يَلْعَنُهُمُ اللهُ ويلعنُهُمُ اللّاعِنُونَ * إلّا الذينَ تابُوا وأَصْلَحُوا وبيَّنُوا فأولئكَ أَتُوبُ عليهم﴾ (البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠) ، أعاذنا الله وإياكم من كل ما يؤدي للفتنة ، ورزقنا البيان الموجب لمرضاته وتوبته ، آمين .

---

(١) ص : وببعده .

ولقد ذكر بعض (١) أهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ الفاضل أبي الخيار مسعود ابن سليمان بن مفلت (٢) رضي الله عنه معتمداً قوياً ومعتقداً (٣) كافياً ، برَّد الله مضجعه ، [٢٣٦/أ] ونفعه بفضله وعمله ، وصحة ورعه وفهمه ، وصدعه بالحق ، رفع الله بذلك درجته . وأما ما ذكرتم من صفتي عندكم فأقول على ذلك ما قال سفيان ابن عيينة ، رحمه الله ، إذ رأى حاجة الناس إليه بذهاب السالفين من أئمته ، فأنشد رافعاً صوته بحضرة الجماعة (٤) :

خلتِ الديارُ فسدتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومن الشقـاءِ تفـرُّدي بـالسُّؤْدَدِ

ورأيت المسائل التي سألتم عنها ، فوجدتها مسائل لا يستغني من لـه أقلُّ اهتمام بدينه عن البحث عنها والوقوف عليها . ولقد أجدتم (٥) السؤال ، وأنا أسأل الله تعالى [أن] يوفق لإصابة الجواب عنه يا رب العالمين . ورأيتكم سألتم في بعض تلك المسائل بألفاظٍ شتَّى والمعنى واحد ، فنصصت ألفاظكم فيها لتقفوا على ذلك إن شاء الله تعالى .

١ ـ سألتم ـ وفقنا الله وإياكم ـ عن أقرب ما يُعْتِبُ به العبد المجرم ربه تعالى ، وعن أفضل ما يستنزل به عفوه وفضله عز وجل ، ويستدفع به سخطه وغضبه ، وعن أنفع ما يَشتغلُ به مَنْ كثرتْ ذنوبه ، وعن خير ما يسعى به المرء في تكفير صغائره وكبائره . فهذه أيها الصفوة الفاضلة أربعُ مسائل فرقتم بينها ومعناها واحد . فالجواب إن شاء الله تعالى عن ذلك . قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النهارِ وَزُلَفاً مِنَ الليلِ إِنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات﴾ (هود : ١١٤) . وحدثنا الرجل الصالح [أبو] محمد [عبد الله] بن يوسف بن نامي ، عن أحمد بن فتح (٦) ، عن عبد الوهاب بن عيسى ،

---

(١) ص : لبعض .

(٢) أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني ؛ قرطبي . أحد شيوخ ابن حزم . كان فقيها عالما زاهدا يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر وتوفي سنة ٤٢٦ (الجذوة : ٣٢٨ والصلة : ٥٨٣) .

(٣) ص : ومقعداً .

(٤) خلت الديار ... البيت : قال سفيان بن عيينة : كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق . فإذا رأيت مشيخة وكهولاً جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان . ثم أنشد البيت (انظر حلية الأولياء ٧ : ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١) والبيت في البيان ٣ : ٢١٩ ، ٣٣٦ منسوب لحارثة بن بدر ، تمثل به سفيان ، وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث على مدى البصر يكتبون .

(٥) ص : أخذتم .

(٦) أبو محمد عبد الله بن يوسف بن نامي . قرطبي روى عن أحمد بن فتح التاجر وغيره وكان شيخا صالحا . توفي سنة ٤٣٥ (الجذوة : ٤٢٩ والصلة : ٢٦٢) ؛ وأحمد بن فتح يعرف بابن الرسان من أهل قرطبة توفي سنة ٤٠٣ (الصلة : ٣١) وهذا هو أحد اسنادين يتكرران عند ابن حزم إلى مسلم (انظر مجلة معهد المخطوطات ٤ ـ ٢ : ٣٣٥) .

عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن علي ، عن مسلم بن الحجاج ، عن قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، أنبأنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [١] : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارة لما بينهن ما لم تغشَ الكبائر » ، فكان هذا الحديث موافقاً لقول الله تعالى : ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبائرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئاتِكُمْ وندخلْكُمْ مُدْخلاً كريماً﴾ (النساء : ٣١) . فصحَّ أن بأداء الفرائض واجتناب الكبائر ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ تُحَطُّ السيئاتُ التي هي دون الكبائر . فبقي أمر الكبائر ، فوجب النظر فيها ، فوجدنا الناس قد اختلفوا فيها [٢] . فقالت طائفة : هي سبع ، واحتجوا بحديث النبي عليه السلام [٣] [٢٣٦ ب] : « اجتنبوا السبع الموبقات ، فذكر عليه السلام الشرك ، والسحر ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولّي يومَ الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » وروي عن ابن عباس أنه قال : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع . فوجب النظر فيما اختلفوا فيه من ذلك ، وردهِ إلى القرآن وحديث النبي الصحيح عنه كما أمرنا ربنا عز وجل : ﴿ فإنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء : ٥٩) ، فلما فعلنا ذلك ، وجدنا الحديث المذكور الذي احتجَّ به من قال : إن الكبائر سبع ، لا أكثر ليس فيه نص على أنه لا موبقات إلا ما ذكر فيه ، ولا فيه ما يمنع من وجوب موبقات أخر إن جاء بذلك نص آخر . وأما لو لم يأتنا آخر في أن ليس ها هنا كبائر غير السبع المذكورة ، لوجب علينا الاقتصار على ما في ذلك الحديث فقط . وإما وجدنا نصاً آخر بإثبات كبائر لم تذكر في هذا الحديث ، فواجب علينا إضافتها إلى الموبقات المذكورة فيه ،

---

(١) الصلوات الخمس ... الخ : الحديث في صحيح مسلم (طهارة ١٤ ، ١٥) وانظر مسند أحمد ٢ : ٢٢٩ ، ٣٥٩ ، ٤٠٠ .

(٢) فوجدنا الناس قد اختلفوا فيها ... الخ : أورد الطبري في تفسيره أقوالاً متعددة في عدد الكبائر ، فمن أهل التأويل من قال : إن الكبائر هي التي عدت في سورة النساء من أولها حتى هذه الآية ، وقال آخرون : الكبائر سبع وهي حسبما عدها علي : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والفرار يوم الزحف والتعرب بعد الهجرة . وقال عطاء : هي سبع : قتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم ورمي المحصنة وشهادة الزور وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف ، وقال آخرون : ومنهم ابن عمر : هي تسع . وقال ابن عباس : هي إلى السبعين أقرب . وقال : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، وقال : كل ما أوعد الله أهله عليه النار فكبيرة (راجع تفسير الطبري ٨ : ٢٣٣ ـ ٢٥٤) ، وسيعد المؤلف منها عدداً كثيراً .

(٣) اجتنبوا السبع ... : في البخاري (وصايا : ٢٣ ، طب : ٤٨ ، حدود ٤٤) ومسلم (إيمان : ١٤٤) وأبي داود (وصايا : ١٠) والنسائي (وصايا : ١٢) .

لأنه ليس شيء من كلامه عليه السلام أولى بالقبول من بعض ، بل الكلُّ واجبٌ قبوله ، ولا تعارض في شيء منه ، لأنه كله من عند الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم : ٣) ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ، قال الله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) .

فصحَّ بهذا ما قلنا من ضمٍّ ما يوجد في النصوص ضماً واحداً ، وقبوله كله وإضافته بعضه إلى بعض . فنظرنا في ذلك فوجدناه عليه السلام قد أدخل في الكبائر وبنصٍّ لفظه غير الذي ذكر في الحديث الذي ذكرنا آنفاً ، فمنها : قول الزور ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والكذب عليه عليه السلام ، وتعريض المرء أبويه للسبِّ بأن يسبَّ آباء الناس . وذكر عليه السلام الوعيد الشديد بالنار على الكفر ، وعلى كفر نعمة المحسن بالحق ، وعلى النياحة في المآتم ، وحلق الشعور فيها ، وخرق الجيوب ، والنميمة ، وترك التحفظ من البول ، وقطيعة الرحم ، وعلى الخمر ، وعلى تعذيب الحيوان بغير الذكاة لأكل ما يحل أكله ، أو ما أبيح أكله منها ، وعلى إسبال الإزار ، على سبيل البخترة ، وعلى المنَّان بما يفعل من الخير ، وعلى المنفِّق سلعته بالحلف الكاذب ، وعلى مانع فضل مائِهِ من الشارب ، وعلى الغلول ، وعلى مبايعة الأئمة للدنيا فإن أعطوا منها وفَّى [٢٣٧/أ] لهم وإن لم يعطوا منها لم يوفِّ لهم ، وعلى المقتطع بيمينه حقَّ امرئٍ مسلم ، وعلى الإمام الغاشِّ لرعيته ، وعلى من ادعى إلى غير أبيه ، وعلى العبد الآبق ، وعلى من غلَّ ، وعلى من ادعى ما ليس له ، وعلى لاعنٍ ما لا يستحقُّ اللعنَ ، وعلى بُغْضِ الأنصار ، وعلى تارك الصلاة [(١)] ، وعلى تارك الزكاة ، وعلى بغض عليّ . ووجدنا الوعيد الشديد في نص القرآن قد جاء على الزناة والمفسدين في الأرض بالحرابة ، فصحَّ بهذا قول ابن عباس . وقد أطلت التفتيش على هذا منذ سنينٍ ، فصحَّ لي أن كل ما يوعد الله به النار فهو من الكبائر [(٢)] . فلما صح هذا كله بنصِّ القرآن ، إذ من اجتنبها أدخله الله مدخلاً كريماً ، ونصِّ الحديث أيضاً ، وجب النظر في ذلك على المؤمن المشفق من عذاب ربه تعالى ومن نارٍ هي أحرُّ من نار هذه بسبعين ضعفاً ، ومن الوقوف بأصعب الأحوال وأشد الأهوال وأعظم الكرب وأكثر الضيق وأكثر العرق

---

(١) ص : الأنصار .

(٢) فصح لي أن كل ما يوعد الله به النار ... الخ : هذا رأي قال به جماعة قبل ابن حزم منهم ابن عباس وسعيد بن جبير . انظر تفسير الطبري ٨ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، نسأل الله عز وجل أن يعيذنا وإياكم من شر ذلك اليوم ، وأن يرزقنا فيه الفوز والنجاة .

فوالله أيها الأحبة إن أحدنا ليشتد روعه ويخفق قلبه من وعيد آدميّ ضعيف مثله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا يقدر أن يتمادى شهراً واحداً في عذاب من عاداه وكاشفه بأكثر من الحبس ، فكيف بذلك اليوم المذكور ، وبعذابٍ أهونُهُ الوقوفُ في حال دنوّ الشمس من الرءوس ، وبلوغ العرق إلى أكثر مساحة الأجسام ، في يوم طوله خمسون[1] ألف عام ، ثم بعد ذلك يرى مصيره إما إلى جنة أو إلى نار ؟ فأين المفر إلا إلى الله وحده لا شريك له ؟ فوجدناه تعالى قال : ﴿ وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ أَتَيْنا بها وكَفَى بنا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، وقال تعالى : ﴿ فأمّا مَنْ ثَقُلَتْ موازينه * فهو في عيشةٍ راضِيَة * وأما مَنْ خَفَّتْ موازينه * فأُمُّهُ هَاوِيَة * وما أدراكَ ماهيَه * نارٌ حامية﴾ (القارعة : ٦ ـ ١١) ، فعلمنا بهذا وبقوله تعالى : ﴿ إنَّ الحسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ﴾ (هود : ١١٤) ، أن من استوت حسناته وسيئاته وفضلت له حسنة واحدة لم ير ناراً فيا لها من سرور ما أجله ، وهذا هو معنى قوله عليه السلام [2] : « إن بغيًا سقت كلباً فغفر الله لها ، وإن رجلاً أماط غُصْنَ شوكٍ عن الطريق فأدخله الله الجنة » وذلك أن هذين فضل لهما هذان العملان بعد موازنتهما سيئاتهما بحسناتهما ، فخلصا من النار [٢٣٧ ب] ودخلا الجنة .

فوجب علينا إذ قد جاءتنا عهود ربنا بهذا كله ، أن نطلبَ الأعمالَ الماحيةَ أو الموازنة للسيئات ، فيثابر المرء منها على ما وفقه الله تعالى للمثابرة عليه . فوجدناه ، عليه السلام ، قد سئل عن أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى ، فذكر الصلاة لميقاتها ، والجهادَ ، وكثرةَ السجود ، وذكر عليه السلام أنه [3] : « لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، ورجل أوتي مالاً فسلطه الله على هلكته في الحق » ، وَذَكَرَ لعمرَ ، رضي الله عنه ، تحبيس أصل ماله وتسبيل ثمرته ، وذكر عليه السلام أنه [4] « لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه طائر أو سبع أو إنسان إلا كان له

---

(١) ص : خمسين .

(٢) الحديث في صحيح مسلم (سلام : ١٥٤ ، ١٥٥) ومسند أحمد ٢ : ٥٠٧ .

(٣) هو في البخاري (علم : ١٥ ؛ زكاة : ٥ ؛ أحكام : ٣ ؛ اعتصام : ١٣) ومسلم (مسافرين : ٢٦٨) وانظر مسند أحمد ١ : ٣٨٥ ، ٤٣٢ .

(٤) هو في البخاري (أدب : ٢٧ ؛ حرث : ١) وفي مسلم (مساقاة : ٧ ـ ١٠ ، ١٢) وانظر مسند أحمد ٣ : ١٤٧ ، ١٩٢ .

صدقة » .

وصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء وجب إتحافكم به ، فهو من أفضل الهدايا ، وذلك ما حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن نامي بالإسناد المتقدم إلى مسلم ، أنبأنا عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي ، ثنا محمد بن ميمون ثنا واصل الأحدب مولى أبي عيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبي الأسود الدؤلي ، عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : « يصبح على كل سُلاَمَى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، ويجزئ من كل ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . وحديث رويناه من طريق مالك عن سمي مولى أبي بكر (٢) ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن النبي عليه السلام قال (٣) : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في كلِّ يوم مائةَ مرة كانتْ له عِدْلَ عَشْرِ رقاب ، وكتبتْ له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما أتى به إلا من عمل (٤) أكثر من ذلك » . وصحَّ عنه عليه السلام أنه قال لأصحابه رضي الله عنهم (٥) : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : إن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن » ، وأنه عليه السلام ذكر لهم سبحان الله والحمد لله والله أكبر ، عدداً يبلغ مائتين وخمسين مرة لكل واحدة منهن عشر حسنات فذلك ألفان وخمسمائة حسنة كل يوم ، وأنه عليه السلام قال (٦) : فأيكم يعمل في يومه ألفين وخمسمائة سيئة ؟ أو كلاماً هذا معناه ؛ وأمر عليه السلام الفقراءَ إذ شكوا إليه [أن] الأغنياء يعتقون ويتصدقون ، وهم لا يقدرون على ذلك [٢٣٨ / أ] فأمرهم عليه السلام أن يقولوا في دبر كل صلاة :

(١) هو في البخاري (صلح : ١١ ؛ جهاد : ٧٢ ، ١٢٨) ومسلم (مسافرين : ٨٤ ؛ زكاة : ٥٦ ؛ أدب : ١٦٠) ومسند أحمد ٢ : ٣١٦ ، ٣٢٨ .

(٢) هو سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي . لمالك عنه ثلاثة عشر حديثا أحدها مرسل . وفي حديث منها ثلاثة فتصير خمسة عشر حديثاً ؛ انظر تجريد التمهيد : ٦٨ ، ٧٠ .

(٣) هو في البخاري (بدء الخلق : ١١ ؛ دعوات : ٦٤) ومسلم (ذكر : ٢٧) ومسند أحمد ٢ : ٣٠٢ ، ٣٥٥ .

(٤) بأفضل مما جاء به إلا أحداً عمل (تجريد التمهيد : ٦٩ ، ٧٠) .

(٥) انظر الترمذي (ثواب القرآن : ١٠) وراموز الأحاديث : ١٧٢ .

(٦) الحديث في ابن ماجة (إقامة : ٣٢) والترمذي (دعوات : ٢٥) ومسند أحمد ٢ : ١٦١ .

الله أكبر أربعاً وثلاثين مرة ، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة ، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة فتلك مائة . وقد نص الله أن الحسنة بعشرة أمثالها ، فعلى هذه للمائة المذكورة ألف حسنة [١] . وحض النبي على قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأخبر أنها من كنوز الجنة [٢] .

وحض عليه السلام على الاستغفار ، وأخبر عليه السلام أنه ربما استغفر في اليوم مائة مرة . فهذه وصايا نبيكم الذي كان بنا رءوفاً رحيماً حريصاً على صلاحنا ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فعليكم بها ، ودعوا أقوال البطالين الكذابين المفسدين في الأرض القائلين إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة البطالين . كَذَبوا وأفكوا ، بل هم البطالون المبطلون حقًّا ، العائجون عن سبيل ربهم وعن صراط نبيهم المستقيم ، بل الاستغفار تركه علامة الفاسقين المصرِّين المستخفِّين ، نعوذ بالله من مثل سيرتهم .

فهذه وفقنا الله وإياكم حظوظ رفيعة مع سهولة مأخذها ، وقرب متناولها ، لا تقطع بأحد منكم عن عمله ، ولا تقطع جسمه ، ولا ترزؤه كلفة ، إذا أحصاها عالم الغيب والشهادة عز وجل اجتمع بها ما يرجى تثقيل ميزان الحسنات ، فتحبط بذلك السيئات ، فلعل النجاة تحصل .

ولسنا نقول هذا على الاقتصار على ذلك دون الاستكثار من سائر أعمال الخير ، ومن تلاوة القرآن ما أمكن ، فإنا روينا عن ابن عباس رضي الله عنه ، أو عن أنس بن مالك ـ الشك مني ـ أنه قال [٣] : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في عيونكم من الشعر ، كنا نعهدها على عهد رسول الله من الموبقات . فاعلموا أيها الإخوة أن الأمرَ والله جدٌّ ، وأن المُنْتَشَبَ صعب ، وأن التخليص عسير إلا بتوفيق الله عز وجل برحمته لعمل الخير ، بقبول اليسير منا ، وتجاوزه عن كثير ذنوبنا ، فهو أهل التقوى وأهلِ المغفرة ، ولكن الله تعالى قال وقوله الحق : ﴿ وأنْ ليسَ للإنسانِ إلَّا ما سَعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سوف يُرَى * ثم يجزاه الجزاءَ الأوْفَى * وأنَّ إلى ربك المُنْتَهى﴾ (سورة النجم : ٣٩ ـ ٤٢) و ﴿ هل تُجْزَوْنَ إلّا ما كنتم تَعْمَلُونَ﴾ (سورة النمل : ٩٠) ، وقال تعالى ﴿ فاليومَ لا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً ولا تُجْزَوْنَ إلّا ما كنتم تعملون﴾ (سورة يس : ٥٤) .

(١) راجع البخاري (أذان : ١٥٥) والترمذي (مواقيت : ١٨٥) .
(٢) انظر مسند أحمد ٥ : ١٥٦ .
(٣) إنكم لتعملون أعمالاً ... إلخ : ورد هذا القول في كتاب الزهد لابن حنبل : ١٩٥ منسوباً إلى أبي سعيد الخدري.

فيستحب للمسلم الذي يطلب النجاة أن يأتي بما لعله أن يوازي ذنوبه ويوازن سيئاته ، وأن يواظب على قراءة القرآن فيختمه في كل شهر مرة ، فإنْ خَتَمَهُ في أقل فحسن ما بين ما ذكرنا إلى أن يختمه في ثلاث لا أقل ، ولا يسع أحداً أن يختمه في أقل من ذلك ، ويواظب مع ذلك [٢٣٨ ب] على قراءة قل هو الله أحد . ولو في كل ركعة من صلاته مع أم القرآن وسورة أخرى ، فإنا روينا أن رجلاً من الأنصار كان يفعل ذلك ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعله ذلك فقال : إني أحبها ، فقال عليه السلام : إنَّ حُبَّكَ إياها أدخلك الجنة ، أو كما قال . وإن لم يفعل فليقرأها في كلٍّ يوم مرة ، فإنها تعدل في الآخر ثلث القرآن . وهذا الآخر لا يحقره إلا مخذول ، فإن كثر منها فحظُّهُ أصاب ؛ وليكثر من الصلاة على النبي متى ذكر ، فإنا روينا عنه أنه قال [(١)] : من صلَّى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً . أفيزهد أحدكم أن يصلي الله عليه ؟ لا يزهد في هذا [إلا] محروم . وليكثر من حمد الله عز وجل عند الأكل والشرب وعند المسرة تَرِدُهُ ، فقد روينا عن النبي عليه السلام في ذلك كلاماً معناه أن العبد لا يزال يفعل ذلك حتى يرضى الله عنه ، أو كلاماً هذا معناه ، وليكثر من قول لا إلهٰ إلا الله . فإنها ألفاظ تتم بحركة اللسان دون حركة الشفتين فلا يشعر بذلك الجليس .

وليواظبْ على صلاة الفرض في الجماعة . فإنه صح عن النبي عليه السلام أن صلاة الصبح في الجماعة تعدل قيامَ ليلة . وصلاةَ عشاء الآخرة في الجماعة تعدلُ قيامَ نصف ليلة [(٢)] ، فأَيكم أيها الأخوة يطيق القيامَ ما بين طرفي ليلة لا ينام فيها أو نصف ليلة كذلك فقد حصل له هذا الأجر تاماً بأهون سعي وأيسر شيء .

وليكثر من ألفاظٍ رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهي أنه دخل على إحدى أمهات المؤمنين وهي في مصلَّاها تذكر الله عز وجل . فقال لها رسول الله : لو قلتِ كلماتٍ ثلاثاً فوُزنت [(٣)] بما قلت لرجحتهن ـ أو قال : لعدلتهن [(٤)] ـ وهي : « سبحان الله عدد خلقه . ورضى نفسه . وزنة عرشه . ومداد كلماته » . فنحن نستحبُّ أن يقولها العبدُ ثلاثاً كلَّ يوم . وليواظب جهده . وقد صح أن العبد يحاسَبُ

(١) هو في مسند أحمد ٣ : ١٠٢ . ٢٦١ ؛ ٢ : ١٧٢ . ١٨٧ .

(٢) انظر سنن أبي داود (صلاة : ٤٨) ومسلم (مساجد : ٢٤٧) ومسند أحمد ٢ : ٤٨٥ .

(٣) ص : لوزنت (ولعلها : لو وزنت) .

(٤) انظر مسند أحمد ١ : ٢٥٨ .

يومَ القيامة ، فإن وُجِدَ في فرائض صلاته نقصٌ جُبِرَ من تطوع إن كان له ، وكذلك في صيامه وزكاته وسائر أعماله ، وروينا من طريق تميم الداري عن رسول الله ، ويبين صحة هذا قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ منكم مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى ﴾ (آل عمران : ١٩٥) ، ولا يلتفت إلى قول من يصدُّ عن سبيل الله : « لا صلاة لمن لا يتم الفرض » ، فهذا قولٌ لم يأتِ به نصٌّ ولا إجماع ، وإنما هذا فيمن ضيع الفرض في آخر وقته أو حلول وقته الذي لا فسحة فيه واشتغل بالنفل [٢٣٩/أ] كإنسان لم يبقَ عليه من صلاة الفرض إلا مقدار ما يصليها فقط ، فترك الفرض واشتغل بالتطوع ، أو وجد الصلاة المكتوبة تقام أو تصلَّى فتركها وأقبل على ما ليس بفرضٍ من الصلاة ، كمثل ما يأمر به بعض الناس : من وجد الإمام في الركعة الأولى من صلاة الصبح أن [يركع] ركعتي الفجر ، فهذا هو الخطأ ، فهذا لا يقبل منه ، لأنه لم يصلِّ الصلاة التي أُمِر بهـا ، ومن لم يفعل ما أمر به وفعـل غير ما أمر به لم يقبل منه : قال عليه السلام [1] : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » وكإنسان صام رمضان في الحضر تطوعاً لا بنيّة الفرض ، فهذا لا يقبل منه . وأما من عليه من الفرض أو سلفت عليه فروضٌ قد عطّلها ، فيستحَبُّ له التطوع ما أمكنه ، كما روينا في الحديث المأثور آنفاً من جبر الفرض بالتطوع .

واعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الله عز وجل ابتدأنا بمواهب خمس جليلة ، لا يهلك على الله بعدهنَّ إلا هالك ، وهي أنه تعالى غفر الصغائر باجتناب الكبائر فلو أن امرءاً وافى عَرْصَةَ القيامةِ بملءِ الأرض صغائر إلا أنه لم يأت كبيرةً أو أتاها ثم تاب منها ، لما طالبه الله بشيء منها ، وقال تعالى :﴿ إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكُمْ سَيِّئاتِكُم وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كريماً﴾ (النساء : ٣١) .

والثانية : مَنْ أكثَرَ مِنْ الكبائِر ، ثم منحه الله التوبة النصوح على حقها وشروطها قبل موته ، فقد سقط عنه جميعها ، ولا يؤاخذه ربه تعالى بشيء منها ، وهذا إجماع من الأمة .

والثالثة : أن من عمل من الكبائر ما شاء الله ، ثم مات مصرًّا عليها ، ثم استوت حسناته وسيئاته لم يفضل له سيئة ، مغفور له ، غير مؤاخذ بشيء مما فعل ، قال الله

---

(١) هو في البخاري (اعتصام : ٢٠ ؛ وبيوع : ٦٠ ؛ وصلح : ٥) ومسلم (أقضية : ١٧ ، ١٨) وابن ماجه (مقدمة : ٢) وانظر الجامع الصغير ٢ : ١٧٦ .

تعالى : ﴿ إنَّ الحسناتِ يُذْهبنَ السيئاتِ﴾ (هود : ١١٤) ، وقال تعالى : ﴿ فأما من ثقلت موازينه﴾ (القارعة : ٦) .

والرابعة : أنه تعالى جعل السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها ، ويضاعف الله تعالى لمن شاء .

والخامسة : أنه تعالى جعل الابتداء على من أحاطت به خطيئته ، وغلب شره على خيره ، بالعذاب والعقاب ، ثم نقله عنه بالشفاعة إلى الجنة فخلَّده فيها ، ولم يجعل [1] ابتداء جزائه على حسناته بالجنة ، ثم ينقله منها إلى النار . فهل بعد ذلك الفضل منزلة ؟ نسأل الله أن لا يدخلنا في عداد من يعذبه بمنه . فهذا أصلحنا اللّه وإياكم جواب [٢٣٩ ب] ما سألتم عنه ممَّا يكفر الذنوب الكبائر ، وفيما يأتي بعدُ أيضاً من الجواب في سائر ما سألتم عنه ، أشياء تستضيف إلى ما قد ذكرنا بحول الله تعالى وقوته .

* * *

٢ ـ وسألتم عن العمل الذي إذا قطع المرء به باقي عمره رجوتُ له الفوزَ عند الله عز وجل ، وأيقنتُ له به ، وعن السيرة التي أختارُهَا وأحسدُ عليها مَنْ أُعطِيَها ، من أبواب التخلّص من سخط الله في القول والعمل . وهاتان مسألتان وإن كنتم فرقتم بينهما فهي واحدة فأقول ـ وبالله [تعالى] التوفيق ـ : إني قد أدمت البحث عما سألتم عنه مدى دهرٍ طويل ، وفتشتُ عنه القرآن والحديث الصحيح ، فلاح لي بعد طلب كثير ، وتحصل لي بعد طلب شديد ما أخاطبكم به ، أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لطاعته آمين . وقد كنتُ جمعتُ في هذا فصلاً نسخته لكم على هيئته ، وهو أن فتشت على مراتب الحقائق في دار القرار في الآخرة ـ وأما الدنيا فمحلُّ مبيتٍ بؤسُها منقضٍ [2] ، وسرورها منسيّ كأن ذلك لم يكن ـ فوجدتها عشر مراتب ، منها ثلاث هي مراتب الملك ، والعلو ، والسبق .

فأولها : مرتبة عالم يعلّم الناسَ دينهم ، فإن كلَّ من عمل بتعليمه أو علم شيئاً مما كان هو السبب في علمه ، فذلك العالم والمتعلم شريك له في الأجر إلى يوم القيامة على آباد الدهور ، فيا لها منزلة ما أرفعها ، أن يكون المرء أشلاء متمزَّعة في قبره أو مشتغلاً

---

(١) ص : يجل .

(٢) ص : منقضى .

في أمور دنياه وصحفُ حسناتِهِ متزايدة ، وأعمالُ الخير مهداةٌ إليه من حيث لا يحتسب ومواتَرَةٌ عليه من حيث لم يقدِّر . ويؤيد هذا قوله عليه السلام [1] : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، وقوله لعلي [2] : « فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك من حمر النعم » . وقوله عليه السلام [3] : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ، فذكر عليه السلام ولداً صالحاً يدعو له ، وصدقة جارية ، وعلماً ينتفع به » ، وقوله [4] : « من عمل في الإسلام سُنَّةً حسنةً فَعُمِلَ بها بعده ، كُتِبَ له مثلُ أجرِ من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده ، كتب له مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء » ، ويؤيد هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونهم بغير عِلْمٍ ﴾ (النحل : ٢٥) ، وقوله : ﴿ وليحملنَّ أثقالهم ﴾ (العنكبوت : ١٣) فأسأل الله أيها الأخوة أن يجعلنا وإياكم من أهل الصفة الأولى ، وأن يُعيذنا من الثانية . فبشروا من سَنَّ القبالاتِ والمكوسَ ووجوهَ الظلم بأخزى الجزاء وأعظم البوار في الآخرة ، إذ سيئاتهم تتزايد على مرور الأيام والليالي ، والبلايا تترادفُ عليهم وهم في قبورهم ؛ ولقد كان أحظى [5] لهم لو لم يكونوا خلقوا من الإنس . واعلموا [٢٤٠/أ] أنه لولا العلماء الذين ينقلون العلم ويعلمونه الناس جيلاً بعد جيل لهلك الإسلام جملةً ، فتدبروا هذا وقفوا عنده وتفكروا فيه نعمّاً ، ولذلك سُمُّوا ورثةَ الأنبياء ، فهذه مرتبة

والثانية : حكمٍ عدل ، فإنه شريك لرعيته في كلِّ عمل خير عملوه في ظل عدله وأمن سلطانه بالحقِّ لا بالعدوان ، وله مثل أجر كلِّ من عمل سنّة حسنة سنها . فيا لها مرتبةً ما أسناها أن يكون ساهياً لاهياً وتكسب له الحسنات ، وأين هذه الصفة ؟ وأما الغاشُّ لرعيته والمداهنُ في الحق ، فهو ضد ما ذكرنا ، ويؤيد هذا قوله عليه السلام [6] : « إن المقسطين فيما ولوا على منابر من نور على يمين الرحمن » ، أو كلاماً هذا معناه ؛

---

(١) من يرد الله ... الخ : ورد في البخاري (علم : ١٠) ومسلم (إمارة : ١٧٥ ؛ زكاة : ٩٨) ومسند أحمد ١ : ٣٠٦ ؛ ٢ : ١٣٤ ؛ ٤ : ٩٤ ومواطن أخرى .

(٢) انظره في سنن أبي داود (علم : ١٠) .

(٣) إذا مات الإنسان ... الخ في الجامع الصغير ١ : ٣٥ .

(٤) انظره في مسلم (زكاة : ٦٩) ومسند أحمد ٤ : ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

(٥) ص : أحضا .

(٦) الحديث في صحيح مسلم (امارة : ١٨ ؛ قضاة : ١) ومسند أحمد ٢ : ١٥٩ . ١٦٠ . ٢٠٣ وانظر الجامع الصغير ١ : ٨٥ .

فهذه ثانية .

وأما الثالثة : مجاهد في سبيل الله عز وجل ، فإنه شريك لكل من يحميه بسيفه في كل عمل خير يعمله ، وإن بعدت داره في أقطار البلاد ، وله مثل أجر من عمل شيئاً من الخير في كلِّ بلد أعان على فتحه بقتال أو حصر [1] ، وله مثل أجر كلِّ من دخل في الإسلام بسببه أو بوجهٍ له فيه أثر إلى يوم القيامة . فيا لها حظوة ما أجلها أن يكون لعله في بعض غفلاته ونحن نصوم له ونصلي .

واعلموا أيها الاخوة الأصفياء أن هذه الثلاث سبق [إليها] الصحابة رضي الله عنهم ، لأنهم كانوا السبب في بلوغ الإسلام إلينا وفي تعلمنا العلم ، وفي الحكم بالعدل فيما ولوا ، وفي فتوح البلاد شرقاً وغرباً ، فهم شركاؤنا وشركاء من يأتي بعدنا إلى يوم القيامة ، وفي كل خير يعمل به مما كانوا السبب في تعليمه أو بسطه أو فتحه من الأرض .

واعلموا أن لولا المجاهدون [2] لهلك الدين وَلَكُنَّا ذمةً لأهل الكفر ، فتدبروا هذا فإنه أمر عظيم ، وإنما هذا كله إذا صَفَتِ النياتُ وكانت لله ، فقد سئل النبي عن عمل المجاهد وما يدانيه ، فأخبر عليه السلام أنه لا يعدله إلا أمرٌ لا يستطاع ، فسألوه عنه فقال كلاماً معناه [3] : أيقدر أحدكم أن يدخلَ مُصَلّاه إذا خرج المجاهد فلا يفتر من صلاة وصيام ؟ فقالوا : يا رسول الله ، لا نطيق ذلك . فأخبرهم أن هذا مثل المجاهد . وأخبرهم أيضاً عليه السلام [4] : أن روث دابّته وبولها ومشيها وشربها الماء ، وإن لم يرد سقيها ، كل ذلك له حسنات . وسئل عن أفضل الأعمال ، فأخبر بالصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد [5] . وسئل عليه السلام عن الرجل يقاتل حميةً والرجل يقاتل ليُرَى مكانه فقال [6] : « من قاتل لتكونَ كلمة الله هي العليا فهو شهيد » أو كما قال ؛ وأخبر عليه السلام : أن الأعمال بالنيات .

فهذه الثلاث المراتب هي مراتب السبق التي من أمكنه شيء منها فليجهد نفسه ،

---

(١) ص : حصور .

(٢) ص : المجاهدين .

(٣) جاء في مسند أحمد (٤ : ٢٧٢) مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والنائم ليله حتى يرجع حتى يرجع .

(٤) انظر صحيح البخاري (تفسير سورة ٩٩ : ١ ؛ مساقاة : ١٢ ؛ جهاد : ٤٨ . اعتصام : ٢٤) .

(٥) مسند أحمد ١ : ٤١٨ .

(٦) انظر سنن أبي داود (جهاد : ٢٤) والنسائي (جهاد : ٢١) .

وما توفيقي إلا بالله عز وجل . ومن أحبَّ قوماً فهو معهم ، فقد قال رجل : يا رسول الله [٢٤٠ ب] متى الساعة ؟ فقال له عليه السلام : ماذا أعددت لها ؟ فاستكان الرجل وقال : يا رسول الله ، ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ، ولكني أحب الله ورسوله . فقال له [١] : أنت مع من أحببت ؛ أوكما قال عليه السلام .

وبعد هذه المرتبة مرتبة رابعة ، هي مرتبة الحظوة والقربة ، وهي حالة إنسان مسلم فتح الله له باباً من أبواب البر مضافاً إلى أداء فرائضه ، إما في كثرة الصيام أو كثرة صدقة ، أو كثرة صلاة ، أو كثرة حج وعمرة ، وما أشبه ذلك ، فهذا له نوافل عظيمة وخير كثير ، إلا أنه ليس له إلا ما عمل ، وصحيفته تطوى بموته ، حاشا من حَبَسَ أرضاً أو أصلاً تجري صدقته بعده ، كما اختار النبي لعمر رضي الله عنه إذ شاوره فيما يعمل في أرضه بخيبر ، فإن هذا أيضاً تلحقه الحسنات بعد موته ما دامت الصدقة .

ولقد سمعت أبا علي الحسين بن سلمون المسيلي [٢] يقول كلاماً استحسنته ، وهو أنه قال لي يوماً : من كثرت ذنوبه فعليه بكسب الضياع . ولعمري لقد قال الحق ، فإن الضيعة إذا كسبت من حِلٍ ومن أرض مباح اكتسابها ، فقد نص النبي أن كل من أكل من غرس مسلم أو من زرعه فهو له صدقة [٣] . وإذا اكتسبت من غير وجهٍ مرضيّ ، فهي غل وثقل على من اكتسبها . فاعتمدوا على ما نص [٤] لكم نبيكم عليه السلام ، ودعوا كلام الفساق من [٤] أهل الجهل الذين يفسدون في الأرض أكثر مما يصلحون . فيحكون عن رجل أنه وجد ابنته قد غرست دالية فقلعها وقال : إنا لم نُبْعَثْ لغرسِ الدوالي . فاعلموا أن هذا الرجل جاهل سخيف العقل مخالفٌ لرسول الله ، مهلك للحرث ، مفسدٌ في الأرض . فهذه مرتبة رابعة ، وهي دون المراتب الثلاث الأول .

---

(١) أنت مع من أحببت : في البخاري (فضائل الصحابة : ٦ ؛ أدب : ٩٥ ، ٩٦) ومسند أحمد ٥ : ١٥٦ .

(٢) الحسين بن سلمون المسيلي : كان أحد الفقهاء المشاورين في عهد سليمان بن حكم الذين أمر بتأخيرهم علي بن حمود ، ثم أعادهم إلى الشورى وتوفي ٤٣١ (انظر التكملة رقم : ٢٢٦ والصلة : ١٤٥) وفي ص : الحسن .

(٣) انظر البخاري (أدب : ٢٧ ؛ حرث : ١) ومسلم (مساقاة : ٧ ـ ١٠ ، ١٢) ومسند أحمد ٣ : ١٤٧ ، ١٩٢ ؛ ٦ : ٤٢٠ .

(٤) ص : حض ما حض .

(٤) ص : عن .

ثم مرتبةٌ خامسة : وهي مرتبة الفوز والنجاة ، وهي حالة إنسان مسلم يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويقتصر على ذلك ، فإن فعل هذا فمضمون له على الله تعالى الغفران بجميع سيئاته ودخول الجنة والنجاة من النار ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كبائرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سيئاتكم وندخلْكُمْ مُدْخَلاً كريماً﴾ (النساء : ٣١) ، وقد نص النبي عليه السلام في الذي سأله عن فرائض الإسلام فأخبره بها فقال : والله لا أزيد عليها ولا أنقص ، قال عليه السلام [١] : أفلح إن صدق ، ودخل الجنة إن صدق . فهذه المراتب الخمس هي مراتب الزلفى والقربى التي لا خوف على أهلها ولا هم يحزنون .

ثم بعدها مرتبتان [٢٤١/أ] وهما مرتبتا السلامة مع الغرر [٢] ، وعاقبتهما محمودة ، إلا أن ابتداءهما مذمومٌ مخوفٌ هائل ، وهما حالُ إنسانٍ مسلم عمل خيراً كثيراً وشراً كثيراً ، وأدى الفرائض وارتكب الكبائر ، ثم رزقه الله التوبة قبل موته . والثانية حال امرئ مسلم عمل حسنات وكبائر ومات مصرًّا ، إلا أن حسناته أكثر من سيئاته . وهذان غرَّرا ولكنهما فائزان ناجيان بضمان الله عز وجل لهما إذ يقول : ﴿ وإنّي لغفَّارٌ لمنْ تابَ وآمنَ وَعَمِلَ صالحاً ثم اهْتَدَى﴾ (طه : ٨٢) ، ولقوله ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾ (القارعة : ٦) ولقوله تعالى ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (هود : ١١٤) ، ولا خلاف بين أحد من أهل السنة فيما قلنا من هذا .

ثم مرتبة ثامنة وهي مرتبةُ أهلِ الأعراف ، وهي مرتبة خوفٍ شديد وهول عظيم ، إلا أن العاقبة إلى سلامة ، وهي [٣] حال امرئ مسلم تساوت حسناته وكبائره ، فلم تفضلْ له حسنة يستحقُّ بها الرحمةَ ، ولا فضلت له سيئة يستحق [بها العذاب] . وقد وصف الله صفة هؤلاء في الأعراف ، فقال تعالى بعد أن ذكر مخاطبة أهل الجنة لأهل النار ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ ربُّكم حقّاً قالوا نَعَمْ﴾ (الأعراف : ٤٤) ثم قال بعد آية ﴿ وبينَهما حِجَابٌ وعلى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفونَ كلّاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرِفَتْ أبصارهم تِلْقاءَ أصحابِ النارِ قالوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا معَ القومِ الظّالمين﴾ (الأعراف : ٤٦ ـ ٤٧) .

---

(١) انظر البخاري (إيمان : ٣) ومسلم (إيمان : ٨ ـ ٩) والنسائي (صلاة : ٤) .
(٢) ص : الغرور .
(٣) ص : إن .

فهذه الوقفة لا يعدل همها والإشفاقَ منها سرورُ الدنيا كلُّه ، ولكنهم ناجون من النار داخلون الجنة ، لأنه لا دار سواهما ، فمن نجا من النار فلا بدَّ له من الجنة ، وليتنا نكون من هذه الصفة ، فوالله إنها لمن أبعد [١] آمالي التي لا أدري كيف التوصلُ إليها إلا برحمة الله ، وأما بعملٍ أعلمه مني فلا .

ثم مرتبة تاسعة وهي مرتبة نشبةٍ [٢] ومحنةٍ وبلية وورطة ومصيبة وداهية ، نعوذ بالله منها ، وإن كانت العاقبة إلى عفو وإقالة وخير ، وهي حال امرئ مسلم خفَّتْ موازينه ورجحت كبائره على حسناته ، فهؤلاء الذين وصفوا في الأحاديث الصحاح أن منهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من يبقى فيها ما شاء الله من الدهور ، كما وصف النبي عليه السلام في مانع الزكاة [٣] أنه يبقى في العذاب الموصوف في الحديث يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى مصيره إلى جنة أو إلى نار ، فيا لها بلية ما أعظمها ؛ وكما نص عليه السلام أنه سأل أصحابه [٤] : « من المفلس عندكم » ؟ قالوا : يا رسول الله ، الذي لا دينار له ولا درهم ، فأخبرهم عليه السلام [٢٤١ ب] أن المفلس هو الذي يأتي يوم القيامة وله صيام وصلاة وصدقة فيوجد قد شتم هذا ، وقتل هذا وظلم هذا ، وأخذ مال هذا ، فينتصفون من حسناته حتى إذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئات هؤلاء الذين ظَلَم فرميت عليه ، ثم قذف به في النار . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وليحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مَعَ أثقالهم وَلَيُسْأَلُنَّ يومَ القيامةِ عمَّا كانوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت : ١٣) ، فيبقى هؤلاء في النار على قدر ما أسلفوا ، حتى إذا بقوا كما [٥] جاء في الحديث الصحيح ، جاءت الشفاعة التي ادّخرها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وجاءت الرحمة التي ادّخرها الله لذلك اليوم الفظيع والموقف الشنيع وأخرجوا كلهم من النار فوجاً بعد فوج بعد ما امتحشوا أو صاروا [٦] حمماً . والله أيها الإخوة لولا أن عذاب الله لا يهون منه شيء ولا يتمناه عاقل لتمنيتُ أن أكونَ من هؤلاء خوفاً من خاتمة سوء ، وأعوذ بالله مما يوجب الخلود ويقتضي جوابه تعالى إذ يقول : ﴿ اخْسَئُوا فيها ولا تَكَلَّمُون﴾ (المؤمنون : ١٠٨) ولكن يمنعني من

(١) ص : بعد .

(٢) ص : تشبه .

(٣) انظر إثم مانع الزكاة في البخاري (زكاة : ٣) وابن ماجه (زكاة : ٢) والترمذي (زكاة : ١) .

(٤) انظر صحيح مسلم (بر : ٦٠) ومسند أحمد ٢ : ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٧٢ .

(٥) ص : كذا .

(٦) ص : وصاروا .

ذلك الرجاءُ في عظيم عفوه عز وجل ، وأن النفس لا تساعد على أن تعد شيئاً من عذاب الله خفيفاً ولو نظرة إلى النار ، أعاذنا الله منها ، فوالله إن أحدنا ليستشنع موقف [جنا]يته أو موقف قصاصه بين يدي مخلوق ضعيف ، فكيف بين يدي الخالق الذي ليس كمثله شيء ، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ فكيف بنار أشد من نارنا بسبعين ضعفاً ؟ فتأملوا ذلك عافانا الله وإياكم منها في فعل الصواعق في صُمِّ الهضاب وشُمِّ الجبال ، فإنها تبلغ في التأثير فيها في ساعة ما لا تبلغه نارنا لو وقدناها هنالك عاماً مجرّماً ، فكيف بجلود ضعيفة ونفوس أَلِمَةٍ ، هذا على أن الحسن البصري رضي الله عنه ذكر يوماً موقفَ رجل يخرجُ من النار بعد ألف سنة فقال [1] : يا ليتني ذلك الرجل ! وإنما تمنى الحسن هذا خوفاً من خاتمة شقاء ، وأن يموت على غير الإسلام فيستحق الخلود في النار في الأبد . فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو الله أن يميته على الإسلام ، وكان الأسود بن يزيد [2] يقول : ما حسدت أحداً حسدي مؤمناً قد دُلِّيَ في قبره ! وإنما تمنى الأسود ذلك لأنه إذا مات مسلماً أمن الكفر .

فهذه المرتبة أيها الأخوة مرتبة نعوذ بالله منها ، فقد صح عن النبي عليه السلام أن المرء المنعَّم في الدنيا يغمس في النار غمسة ثم يقال [3] : أرأيتَ خيراً قط ؟ فيقول : لا ما رأيت خيراً قط ! هذا في غمسة ، فكيف بمن يبقى خمسين ألف سنة يجدَّدُ له فيها أضعاف العذاب ؟ على أنه قد صح عن النبي عليه السلام [٢٤٢/أ] من طريق أبي سعيد الخدري [4] أن آخر أهل النار دخُولاً الجنة وخروجاً من النار ، وأقل أهل الجنة منزلة ، رجل أمره الله أن يتمنى فيتمنى مثل مُلْكِ مَلِكٍ كان يعرفه في الدنيا فيعطيه الله مثل الدنيا كلها عشر مرات ، وهذا حديث صحيح ، فلا يدخلنكم فيه داخلة لبراهين يطول فيها الكلام ولِصِغَر قدر الأرض وقلته في الإضافة إلى قدر الآخرة وسعتها ، يعلم ذلك مَنْ عَلِمَ هيئةَ العالم وتفاهةَ الأرض في عظيم السموات . ولعمري إن هذه فضيلة عظيمة ، لا سيما إذا أفكرنا أنها خالدة لا تنقضي أبداً . ولكن إذا أفكرنا فيما

---

(١) انظر الحسن البصري لابن الجوزي : ١٦ .

(٢) الأسود بن يزيد توفي في الكوفة سنة ٧٥ (انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٧٠ ـ ٧٥ . وكتاب الزهد : ٣٤٧ وتهذيب التهذيب ١ : ٣٤٢) .

(٣) انظر ابن ماجه (زهد : ٣٨) .

(٤) إن آخر أهل النار ... الخ : في البخاري (رقاق : ٥١) ومسلم (إيمان : ٣٠٨ . ٣١١) والترمذي (جنة : ١٧)

قبلها من طول المكث بين أطباق النيران ، يتجرعون الزقوم ويشربون الغسلين ، ولهم مقامع من حديد ، والأغلال في أعناقهم ، والملائكة يسحبونهم على وجوههم . وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، لم يفِ بذلك سرورٌ وإن جلّ ، ونسأل الله أن يجيرنا وإياكم من هذه المرتبة ، آمين .

فلهؤلاء ذخرت الشفاعة وفي جملتهم يدخل من لم تكن له وسيلة ، ولا عمل خيراً قط غير اعتقاد الإسلام والنطق به ، ولا استكفّ عن شرٍ قطُّ حاشا الكفر ، على قدر ما يفضل من السيئات على الحسنات يكون العذاب ، فأقله غمسة كما جاء في الحديث المذكور منه آنفاً ، ومن يلج منه عضو في النار كما جاء في حديث جواز الصراط ، وأكثره الذي ذكرنا أنه آخر أهل الإسلام خروجاً من النار في الحديث المذكور آنفاً .

وأما المرتبة العاشرة فهي مرتبة السُّحْق ، والبعد ، والهلكة الأبدية ، وهي مرتبة من مات كافراً ، فهو مخلَّد في نار جهنم لا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يقضى عليهم فيموتوا ، خالدين فيها أبداً ، سواء صبروا أم جزعوا ، ما لهم من محيص . اللهم عياذك ، عياذك ، عياذك من ذلك ، وقد هان كل ما تقدم ذكره عند هذه : « وإنما نُوكَّلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يمضي » [1] . ثبتنا الله وإياكم على الإسلام والإيمان واتباع محمد عليه السلام . فهذا جواب ما سألتم عنه من السيرة المختارة التي أحسد عليها صاحبها ، وأتمنى أعاليها ، قد لخصتها وفسرتها ، ثم أعيدها لكم مختصرة ، ليكون أقربَ للذكر وأسهل للحفظ إن شاء الله تعالى فأقول ، وبالله التوفيق : إن أجلَّ سير المسلم ثلاثة : طلب العلم ، ونشره ، والحكم بالعدل لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين والجهاد - كلٌّ هذا مع أداء الفرائض واجتناب المحارم . وبعد هذا المداومةُ على الوتر ، وركعتي الفجر والضحى ، وركعتين في الليل وقبل الوتر [٢٤٢ ب] في منزله ، وركعتين متى دخل المسجد ، فإن زاد فليصلِّ الضحى ثماني ركعات ، وليصلِّ اثنتي عشرة [2] ركعة في آخر الليل في منزله قبل الوتر أو في أي وقت أمكنه من الليل . ولا أُحبُّ له الزيادة في الضحى على ما ذكرت ، لكن من أراد الزيادة فليطوِّل القراءة والركوع والسجود ما شاء ، فإني أخاف عليه ما خافه مالك بن أنس إذ سأله سائل عن رجل أحرم قبل

(١) نوكل بالأدنى ... إلخ : عجز بيت من الشعر لأبي خراش الهذلي وصدره : « على أنها تعفو الكلام وإنما » (انظر ديوان الهذليين ١ : ١٥٨) .

(٢) ص : اثنا عشر .

الميقات ، فكره ذلك وقال : لعله يتوهم أنه يأتي بأحسن مما [1] أتى به نبيه عليه السلام فيهلك ! وأنا أكره لكل أحد أن يزيد على عدد ما كان يتنفَّلُ به نبيه محمد لوجهين : أحدهما قول الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) ، والثاني : أن يخطر الشيطان في قلبه فيوسوس أنه قد فعل من الخير أكثر مما كان محمد يفعله ، فيهلك في الأبد ويحبط عمله ، ويجد صلاته وصيامه في ميزان سيئاته ، فيا لها مصيبة ما أعظمها ، أن يحصل في جملة من قال الله تعالى : ﴿ وجوهٌ يَوْمَئذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى ناراً حَامِيةً ﴾ (الغاشية ٢ ـ ٤) فلا دنيا ولا آخرة ، على أن مداواة هذا البلاء لمن امتحن به سهلة ، وهي أننا نقول له : ليعلم العاقل أن تكبيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم عند الله وأجل من كل عمل خير يعمله جميعنا ، لو عمر العالم كله .

فإن أحبَّ المزيدَ كما ذكرنا فليركعْ أربعَ ركعات في منزله قبل الظهر ، وركعتين قبل العصر ، وركعتين بعد العصر ، وركعتين بعد المغرب . وكل هذه النوافل فهي في البيوت أفضل منها في المسجد . وركعتين بعد غروب الشمس وقبل صلاة المغرب ، إما في المنزل ، وإما في المسجد ، وست ركعات بعد صلاة الجمعة ، ويستحب للمرء أن لا يقصر من الصيام عن صيام يوم عرفة ويوم عاشور التاسع والعاشر . وستة أيام من شوال مضافة إلى رمضان ، لا يحول بينه وبينها إلا يوم الفطر وحده . فقد صحَّ عن النبي عليه السلام أن ذلك يعدل صيام الدهر ، وأن صيام يوم عرفة وعاشورا يكفِّر عامين وعاماً ، وهذا أمر لا يزهد فيه إلا محروم . فإن أحب المزيد فليصم الاثنين والخميس ، فإن أحب المزيد فليصم يوماً ويفطر يوماً ، فإن زاد على ما ذكرنا فهو آثم عاصٍ . سئل رسول الله عن صيام الدهر فقال : لا صام ولا أفطر . وقد روي عنه عليه السلام ما هو أشد من هذا ، وصحَّ أنه سئل عن أفضل من صيام يوم وإفطار يوم قال : « لا أفضل من ذلك » [2] ، فمن [لم] ينته إلى ما حدَّهُ له نبيه فلا عفا الله عنه . والحج والعمرة والتطوع كذلك حسن جداً وأجر عظيم . لا جزاء له إلا الجنة بنصٍّ كلامه عليه السلام . والصدقة بما تيسر ، فإن الإكثار منها فيما فضل عن قوته وبما بقي له غناء ، ولا تحل الصدقة [٢٤٣/أ] بأكثر من ذلك . وعياد مرضى الجيران ، وشهود جنائزهم ، فرض على كل مسلم جارٍ على الكفاية . ولقاء الناس بالبشر والبر وانطلاق

---

(١) ص : ما .
(٢) انظر مسند أحمد ٢ : ١٥٨ .

الوجه ، وهذا كله بعد أداء الفرائض واجتناب الكبائر ، ويستحب من الذكر ما تقدم في أول هذه الرسالة ، فبهذا يتخلص المسلم من عذاب الله ، ويستوجب الجنة بفضل الله ، فمن عجز عن هذا كله فليقتصر على أداء الفرائض واجتناب الكبائر فإنه فائز ، ومع هذا فليخفْ ربه وليحسنِ الظنَّ به ، فقد صحَّ عنه عليه السلام أنه قال [١] : إن الله يقول : أنا عند ظن عبدي بي . فاعلموا أن تحسين الظن بالله تعالى أجر عظيم ، وأنه عمل بالقلب رفيع فاضل ، فلعل ربه تعالى قد حفظ له حسنة لا يلقي العبد إليها باله ولا يذكر علتها ، كما أنه أيضاً ربما هلك بسيئة حفظت عليه كان هو يحقرها ، وليدم على فعل الخير وإن قل ، فبهذا جاء الأثر الصحيح [٢] : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها » . ولا أحبُّ لنفسي ولكم ولا لأحد من المسلمين التقصيرَ عن هذا ، فمن ابتلي بالتقصير عنه فليتدارك نفسه بالتوبة والندم والاستغفار فيما سلف فإنه يجد ربَّه قريباً إذا راجعه ، قابلاً له إذا فزع إليه ، غافراً لما سلف من ذنوبه كما قال تعالى ﴿ غافرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ شديدِ العِقَابِ ﴾ (غافر : ٣) . فمن امتحن بتسويف التوبة ومماطلة النفس ، فليكثِر من فعل الخير ما أمكنه ، ولعل حسناته تذهب سيئاته ، وليدخل في قوله : ﴿ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً عَسَى الله أنْ يتوبَ عليهم ﴾ (التوبة : ١٠٢) ، ولعله [٣] يقل مكثه في النار ، فقد جاء النص الصحيح بتفاضل مقامهم ، فمن ابتلي وعجز فليتمسك بالعروة الوثقى ، عروة الإسلام ، وليعلم قبح ما يقول ، فلعله ينجو من الخلود ، وهو ناج منه بلا شك إن مات مسلماً .

* * *

٣ ـ وسألتم ـ رحمنا الله وإياكم ـ عن طلب العلم ، وهل الآدابُ من العلم ، تعنون [٤] النحو واللغة والشعر ، وعن طلب الاشتغال بروايات القراء السبعة المشهورين على اختلاف ألفاظها وأحكامها ، وعن قراءة الحديث ، وعن مسائل . فنعم ـ وفقنا الله وإياكم لما يرضيه ـ :

أما الاشتغال بروايات القراء المشهورين السبعة وقراءة الحديث وطلب علم النحو ، واللغة ، فإنَّ طلبَ هذه العلوم فرضٌ واجبٌ على المسلمين على الكفاية ، بمعنى أن من

(١) هو في صحيح البخاري (توحيد : ١٥ ، ٣٥) ومسلم (توبة : ١ ؛ ذكر ٢ ، ١٩) وفي مواضع كثيرة من مسند أحمد ٢ : ٢٥١ ، ٣١٥ ، ٣٩١ ، ٤١٣ ... الخ .

(٢) هو في صحيح البخاري (إيمان : ٣٢ ، رقاق : ١٨) ومسلم (مسافرين : ٢١٦ ، ٢١٨) ومسند أحمد ٢ : ٣٥٠ ، ٥ : ٢١٩ ، ٦ : ٤٠ ، ٦١ (ومواطن أخرى كثيرة) .

(٣) ص : ولعل .

(٤) ص : تمنعون .

قام بطلبها حتى يعم بعلمه تعليم من طلبها أو فتيا من استفتاه فيها من أهل بلده أو قريته ، فإذا قام بذلك من يُعْنَى بهذا القدر ، سقط فرضُ طلبها حينئذ عن الباقين ، إلا ما يخصُّ كلَّ إنسان في نفسه فقط . فالذي يلزم كل إنسان من حفظ القرآن فهو أمُّ القرآن وشيء من القرآن معها ، ولو سورة أي سورة كانت ، أو أي آية ، فهذا لا بدَّ لكلِّ إنسانٍ منه .

ثم طلبُ علم القرآن واختلافِ القراءِ السبعة فيه وضبط قراءتهم [٢٤٣ ب] كلهم ، فرض على الكفاية وفضل عظيم لمن طلبه إن كان في بلده كثير ممن يحكمه وأجر جزيل ، قال عليه السلام [1] : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، فكفى بهذا فضلاً ، وقد أمر عليه السلام بتعليم القرآن فمن تعلمه فهو خير ، ولو ضاع هذا الباب لذهب القرآن وضاع ، وحرام على المسلمين تضييعه ، وذهابه من أشراط الساعة ، وكذلك ذهاب العلم .

وأما النحو واللغة ففرض على الكفاية أيضاً كما قدمنا ، لأن الله يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلّا بِلِسانِ قومه ليبيّنَ لهم﴾ (إبراهيم : ٤) ، وأنزل القرآنَ على نبيه عليه السلام بلسان عربي مبين ، فمن لم يعلم النحو واللغة ، فلم يعلم اللسان الذي به بيّن الله لنا ديننا وخاطبنا [به] ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه ، ومن لم يعلم دينه ففرضٌ عليه أن يتعلمه ، وفرضٌ عليه واجبٌ تعلم النحو واللغة ، ولا بد منه على الكفاية كما قدمنا ، ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي ، ولو سقط لسقط الإسلام ، فمن طلب النحو واللغة على نية إقامة الشريعة بذلك ، وليفهم بهما كلام الله تعالى وكلام نبيه وليفهمه غيره ، فهذا له أجر عظيم ومرتبة عالية لا يجب التقصير عنها لأحد . وأما من وَسَمَ اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهلٌ للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة ، وحرام على المسلمين أن يستفتوه ، لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به . وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم ؛ قال الله تعالى : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بِهِ علمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئك كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء : ٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ قلْ إنّما حَرَّمَ ربِّيَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وَمَا بطنَ والإثمَ والبغيَ بغيرِ الحقِّ وأن تُشْرِكُوا باللهِ ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطَاناً وأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَتَقُولونَ بأفواهكم ما ليس لكم به عِلْمٌ وتحسبونَهُ هيّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عظيم﴾ (النور : ١٥) . فمن لم يعلم

(١) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري (فضائل القرآن : ٢١) والترمذي (ثواب القرآن : ١٥) وابن ماجه (مقدمة : ١٦) .

اللسانَ الذي به خاطبنا الله عز وجل ، ولم يعرف اختلاف المعاني فيه لاختلاف الحركات في ألفاظه ، ثم أخبر عن الله بأوامره ونواهيه فقد قال على الله ما لا يعلم . وكيف يفتي في الطهارة من لا يعلم الصعيد في لغة العرب ؟ وكيف يفتي في الذبائح من لا يدري ماذا يقع عليه اسم الذَّكاة في لغة العرب ؟ أم كيف يفتي في الدين من لا يدري خَفْضَ اللام أو رَفْعَها من قول الله عز وجل ﴿ إنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسولُهُ ﴾ (التوبة : ٣) ، ومثل هذا في القرآن والسنة كثير ، وفي هذا كفاية . فمن طلب علم النحو واللغة على النية التي ذكرنا فهو [٢٤٤/أ] أعظم أجر وأفضل علم ، ومن طلبهما ليكونا له مكسباً ومعاشاً فهو مأجورٌ محسن ، ولكن أجره دونَ أجرِ الأول ، وفوق سائر الصناعات التي يعاش منها ، لأنه يعلِّم الخير ويبقي آخر عالماً فيمن علم ، ومن طلبهما ليتوصل بهما إلى إقامة المظالم وإحياء رسوم الجور والتدرب في أحكام المكوس والقبالات والمخاطبة عن فُسَّاق الملوك بما يرضيهم ويسخط الله عز وجل ، فقد خاب وخسر وغدا في لعنة الله وراح فيها ، لأنه ظالم ، وقد قال الله :﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالمـين ﴾ (هود : ١٨) .

وأما علم الشعر فإنه على ثلاثة أقسام :

أحدها [١] : أن لا يكون للإنسان علم غيره فهذا حرام ، يبين ذلك قوله عليه السلام [٢] : لأن يملأ ، أو يمتلئ ، جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً .

والثاني : الاستكثار منه ، فلسنا نحبه وليس بحرام ، ولا يأثم المستكثر منه إذا ضرب في علم دينه بنصيب ، ولكنَّ الاشتغال بغيره أفضل .

والثالث : الأخذ منه بنصيب ، فهذا نحبُّه ونحضُّ عليه ، لأن النبي عليه السلام قد استنشد الشعر ، وأنشد حَسَّان على منبره عليه السلام . وقال عليه السلام [٣] : « إن من الشعر حِكَماً » وفيه عون على الاستشهاد في النحو واللغة . فهذا المقدار هو الذي يجب الاقتصار عليه من رواية الشعر ، وفي هذا كفاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما من قال الشعر في الحكمة والزهد فقد أحسن وأجر ، وأما من قال معاتباً

---

(١) ص : أحدهما .

(٢) انظره في الجامع الصغير ٢ : ١٢٢ .

(٣) هو في البخاري (أدب : ٩٠) والترمذي (أدب : ٦٩) وابن ماجه (أدب : ٤١) ومسند أحمد ١ : ٢٦٩ ، ٣٠٣ ؛ ٣ : ٤٥٦ ؛ ٥ : ١٢٥ .

لصديقه ومراسلاً له ، وراثياً من مات من إخوانه بما ليس باطلاً ، ومادحاً لمن استحق الحمد بالحق ، فليس بآثم ولا يُكْرَهُ ذلك ، وأما من قال هاجياً لمسلم ، ومادحاً بالكذب ، ومشبباً بحرم المسلمين ، فهو فاسق ، وقد بين الله هذا كله بقوله ﴿ والشُّعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٤) .

والذي يجب على طالب العلم أن لا يقتصرَ على أقل منه من النحو ، فمعرفة [1] ما يمر من القرآن والسنة من الإعراب ، ويكفي من ذلك كتاب الواضح أو كتاب الزجاجي [2] ، فإن زاد وأوغل حتى يحكم كتابَ سيبويه وما جرى مجراه فقد أحسن ، وذلك زيادةٌ في فضله وأجره . وأمـا من اللغة فمثل ذلك أيضاً ، ويجزئ عنه منه [٢٤٤ ب] الغريب المصنّف لأبي عبيد [3] ، فإن زاد وأوغل واستكثر من دواوين اللغة فقد أحسن وأُجر . ويجب رواية شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وما خف من مختار أشعار الجاهليين ومختار أشعار المسلمين ، غير مستكثر من ذلك ، ولكن بقدر ما يتدرب في فهم معاني لغة العرب ومخـارج كلامهم .

وعلم الحساب والطب أيضاً من العلوم الرفيعة ، فمن طلب علماً من ذلك لينتفع به الناسُ في القسمة والعلاج وحساب مقابلتهم فهو مأجور . وتعلّم هذا المقدار فرضٌ على الكفاية ، إذ لو جهل هذا لضاع كثير من الدين ، كحساب الوصايا والمواريث ومعرفة البيوع وغير ذلك . ومن طلبهما ليكتسب منهما فمأجور أيضاً ، ومن طلبهما ليتوصل بهما إلى الظلم فآثم فاسق .

وأما معرفة قراءة الحديث ففرض على الكفاية بقوله تعالى : ﴿ وما كانَ المؤمنون لِيَنْفِروا كافَّة فلولا نَفَرَ مِنْ كلِّ فرقةٍ منهمْ طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرون ﴾ (التوبة : ١٢٢) . ولا سبيل إلى التفقه في الدين إلا بمعرفة أحكام القرآن ، وحديثِ النبي صلى الله عليه وسلم ، صحيحِهِ من سقيمه ، وناسخِهِ من منسوخه ، وما أجمع عليه مما اختلف فيه ، فهذا أفضل ما استعمل المرءُ فيه نفسه ، وأعظم ما يحاول لأجره وأمحاهُ لذنوبه . وقد قسم النبيّ هذا الباب أقساماً

---

(١) ص : بمعرفة .

(٢) الواضح في النحو لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي . وأما كتاب الزجاجي فهو « الجمل » .

(٣) يعني القاسم بن سلام وكتابه جليل القدر صرف في تأليفه وجمعه أربعين سنة .

كثيرة كافية كما حدثنا القاضي حمام بن أحمد ، قال : ثنا عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ،. نبا أبو أحمد الجرجاني ، نبا محمد بن يوسف الفربري ، نبا محمد بن إسماعيل البخاري ، نبا محمد نبا حماد بن أسامة ، عن بُرَيد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [1] : « مثل ما بعثني الله [به] من الهدى والعلم كمثل غيثٍ كثير أصاب أرضاً فكان منها نقِيَّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى به [الناس] فشربوا وسقوا وزرعوا [2] ، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم [3] ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » ؛ فهذا الحديث أيها الإخوة الأصفياء لو لم يأتنا غيره لكفانا ، ففيه جماع [4] طبقات الناس كما ترون ، والطائفة الأولى التي [5] أنبتت الكلأ والعشب هم الذين فهموا معاني القرآن والحديث وتديَّنوا بها وعلموها الناس ؛ والطائفة الثانية التي أمسكت الماء فشربَ الناس منها فسقوا ورعوا هم الشيوخ الذين رووا لنا الحديث [٢٤٥/أ] ، وقيدوه وعنوا به وبلغوه إلينا فأخذناه عنهم وإن لم يكن لهم فقه فيه ، ولكنهم رضي الله عنهم أجروا فينا أجراً عظيماً ، لأنهم كانوا سبب علمنا ، فهم شركاؤنا في كل ما قيَّدنا وعلمنا مما أخذنا عنهم . والطائفة الثالثة هي المعرضة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي لا ترفع به رأساً ولا تقبله إذا سمعته ولا تعنى به ولا تطلبه ، كما أن تلك القيعان مرَّ عليها الماء مرّاً ، كما دخل خرج . فمن استطاع منكم أيها الإخوة في الله عز وجل أن يكون من الطائفة الأولى النَّقية فليفعل ، فحسبُ الواحدِ منّا أن يكونَ في جملة من أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن لم يمنح ذلك ، فليكن من الأجادب التي تمسك الماء ، لعلَّ الله ينفع بنا وبكم في ذلك ، ولو أن يموت أحدنا وهو مقيد بحديث النبي يشاهد مجالسة طالب له مستكثر منه ، فأُعيذ نفسي وإياكم بالله أن نكون من القيعانِ التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً .

(١) مثل ما بعثني ... الخ : انظر باب العلم من صحيح البخاري (والرقاق : ٢٦ والاعتصام : ٢) والعيني ١ : ٤٦٥ .

(٢) وزرعوا : في هامش ص : صوابه « ورعوا » وكذلك أخرجه مسلم في كتابه . إذ الزرع في الأول . وتصحفت اللفظة في البخاري ، والله أعلم ، من النقلة .

(٣) ص : وعمل .

(٤) ص : إجماع .

(٥) ص : الذي .

وأما كتب الرأي ، فاعلموا أنها لا تحلُّ قراءتها على معنى تقليد ما فيها والتدين به ، ويكفي في هذا قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطيعُوا الرسولَ وأولي الأَمْرِ منكم فإنْ تنازعتُمْ في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤمنونَ باللهِ واليوم الآخر﴾ (النساء : ٥٩) ، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فحرام عليه أن يردَّ شيئاً مما اختلف فيه إلى قول عائشة وأم سلمة وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ والعباس ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء أفاضل الأمة وعلماؤها ، فكيف إلى قول أبي حنيفة وإلى سفيان ومالك والشافعي وأحمد وداوود وأبي يوسف ومحمد وابن القاسم ؟ لأن من ردّ ذلك إلى غير القرآن وحديث النبي عليه السلام ، فقد خالف ما أمره به تعالى في الآية المذكورة . ومن لم [يفعل] ما أمر الله تعالى به ، فقد عصى الله عز وجل ورسوله واستحق أقبح الصفات ، ولم يحكم بما أنزل الله عز وجل ﴿ وَمَنْ لم يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الفاسقون﴾ (المائدة : ٤٧) . وقد أخبرنا حمام بن أحمد [(١)] ، قال ثنا عبد الله بن علي الباجي [(٢)] ، ثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن [(٣)] ، نبا أحمد بن مسلم ، نبا أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، نبا وكيع بن الجراح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه [٢٤٥ ب] ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي عليه السلام أنه قال [(٤)] : « لا يُنْزَعُ العلم انتزاعاً من قلوب الرجال ، ولكنْ ينزع بذهاب العلماء ، فإذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناسُ رؤساء جهالاً فأفتوا بالرأي فضلُّوا وأضلوا » . وقال عبد الله بن عمر : لم يزل أمرُ بني إسرائيل مستقيماً حتى فشا فيهم أبناءُ سبايا الأمم فقالوا بالرأي ، فضلوا وأضلوا . وقد أخبرنا بهذا الحديث أيضاً حمام بن أحمد عن عبد الله بن إبراهيم ، نبا أبو أحمد وأبو زيد المروزي كلاهما عن محمد بن يوسف الفربري ، عن محمد بن إسماعيل البخاري ، نبا سعيد بن تليد ، نبا ابن وهب ، ثني عبد الرحمن بن شريح وغيره عن محمد أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول :

---

(١) قد مرَّ التعريف به : ١٤٤ .

(٢) عبد الله بن علي بن محمد الباجي أبو محمد أصله من باجة القيروان . سكن إشبيلية . فقيه محدث مكثر جليل . سمع من ابن لبابة ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهما (الجذوة : ٢٣٣ عبد الله بن محمد بن علي . وانظر الصلة : ٢٧٥ فلعله هو) .

(٣) محمد بن عبد الملك بن أيمن رحل إلى العراق وحدث بالمشرق والأندلس . وله مصنف قال فيه ابن حزم انه مصنف رفيع وتوفي سنة ٣٣٠ (الجذوة : ٦٣) .

(٤) انظر هذا الحديث في مسند أحمد ٢ : ٤٨١ .

سمعت رسول الله يقول [١] : « إن الله لا ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزعه بقبض العلماء بعلمهم فيبقى ناسٌ جهال فيستفتون فيفتون برأيهم فَيَضِلُّون وَيُضِلّون » فهذان عدلان جليلان أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن يتيم عروة [٢] وهشام شهدا على عروة ، وشهد عروة على عبد الله ، وعبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبلغتكم ، وليس اختلافُ الألفاظِ بموجبٍ تعليلاً في الرواية إذا كان المعنى واحداً فقط ، فصحَّ أن النبي كان إذا حدث بحديث كرره ثلاث مرات فيؤديه السامع على حسب ما سمع في كل مرة : فهذه صفة الرأي .

واعلموا رحمكم الله أني أقول إعلاناً لا أسِرّه أن تقليد الآراء لم يكن قط في قرن الصحابة رضي الله عنهم ، ولا في قرن التابعين ولا في قرن تابع التابعين ، وهذه هي القرون التي أثنى النبي عليها ، وإنما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا سبيل إلى وجود رجل في القرون الثلاثة المتقدمة قلَّد صاحباً أو تابعاً أو إماماً أخذ عنه في جميع قوله فأخذه كما هو ، وتديَّنَ به وأفتى به الناس ، فاللهَ اللهَ في أنفسكم ، لا تفارقوا ما مضى عليه جميع الصحابة أوَّلهم عن آخرهم وتابعهم عن [متبوعهم] ، وتابع التابعين أولهم عن آخرهم ، دون خلاف من واحد منهم ، مِنْ تَرْكِ التقليد واتباع أحكام القرآن وحديث النبي عليه السلام وروايته والعمل به . فاجتنبوا هذه [٢٤٦/أ] الحادثة في القرن المذموم المخالفة للإجماع المتقدم ، وبعد أزيد من مائتين وخمسين عاماً من موت النبي عليه السلام ، فكل بدعة ضلالة ، فقد نصحت لكم وأديت ما لزمني في ذلك ، وبقي ما عليكم . فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . وإنما يجوز قراءة كتب الرأي على وجه أذكره لكم ، وهو طلب ما أجمع عليه أئمة العلماء فيتبع ويوقف عنده ، لأن الله أمرنا في الآية التي تلونا بطاعة أولي الأمر منا ولنعرف ما اختلف فيه العلماء فيعرض على كتاب الله عز وجل ، وعلى حديث النبي ، فلأيّ تلك الأقوال شهد القرآن والسنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذنا به ، ونترك سائر ذلك إن كنا

---

(١) إن الله لا ينزل ... الخ : انظر البخاري : (كتاب الاعتصام : ٧) ، والعيني ١ : ٥٢٨ ، وانظر راموز الحديث : ٩١ في أحاديث مشابهة .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود أبو الأسود المدني يتيم عروة ، الأرجح أنه توفي سنة ١٣٧ ، وكان ثقة (تهذيب التهذيب ٩ : ٣٠٧) .

(٣) الحديث في باب الإيمان من البخاري ومسلم (٤٢ ، ٩٥) .

نؤمن بالله واليوم الآخر ، فهو أعرف بنفسه [1] .

فعلى هذا الوجه يجب قراءة كتب الرأي ، لا على ما سواه . فمن قرأها على هذا أجر ، وانتفع بها جداً ، وأما من قرأها متديناً بها غير عارضٍ لها على القرآن وحديث النبي فهو فاسق ، لعصيانه ما أمره الله تعالى به ، ولأنه لم يحكم بما أنزل الله . فمن جمع إلى هذا استحلالَ مخالفةِ ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يعتقد صحته عنه عليه السلام لقول أحدٍ دونه ، واعتقدَ أنّ هذا جائز فهو كافر مشرك مرتدٌّ عن الديانة ، منسلخ عن الإسلام ، حلالُ الدم والمال . روينا عن النبي أنه قال [2] : « كلُّ أحدٍ يدخلُ الجنة إلا من أبَى . قيل : يا رسول الله ومن يأبَى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . ولا تحسبوا أني سَبَقْتُ إلى هذا القول ، فمعاذ الله أن أقول ما لم يقله الله تعالى ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يحكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يَجِدُوا في أنفسهم حَرَجاً مِمَّا قضيتَ وَيُسَلِّمُوا تسليماً﴾ (النساء : ٦٥) . فأنا أقول : والله ما آمن مَنْ حَكَّمَ غيرَ رسول الله في دينه .

واعلموا أيضاً أن هذا الذي قلت هو رأي الشافعي ومالك وإسحاق بن راهويه ، فإنه بلغني عن مالك ، رحمه الله ، أنه سأله سائل فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول في رجل قيل له : قال النبيُّ كذا ، فقال هو : قال إبراهيم النخعي كذا ؟ فقال مالك : أرى أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل . وبلغني عن الشافعي ، رحمه الله ، أنه ذكر يوماً حديثاً عن النبي عليه السلام [٢٤٦ ب] فقال له إنسان : يا أبا عبد الله ، أتأخذ بهذا الحديث ؟ فقال له الشافعي : أرأيتَ يا هذا عليَّ زناراً خارجاً من كنيسة ؟ تسمعني أُحدِّثُ عن النبي صلى الله [عليه] وسلم وتقول لي : تأخذ به ؟ وما لي لا آخذ به ؟ إذا صحَّ الحديثُ عن رسول الله فهو ديني وقولي . وذكر محمد بن نصر عن إسحاق بن راهويه أنه قال : مَنْ سبَّ رسولَ الله أو ترك صلاة فرضاً متعمداً حتى خرج وقتها بلا عذرٍ أو ردَّ حديثاً مسنداً صحيحاً بَلَغَهُ عن رسول [الله] ، فهو كافر مشرك .

وقد سمعنا أصحابنا يحكون عن ابن القاسم ، رحمه الله ، أنه كان لا يجيز بيعَ كتب الرأي ، فسئل عن ذلك فأخبر أنه لا يدري أحق هو أم باطل . وأجاز بيع المصاحف وكتب الحديث ، لأن الذي فيها حق . فكيف يظنُّ جاهل لا يتقي الله عز

(١) فهو أعرف بنفسه : كذا في ص ، ويبدو فيه انقطاع .

(٢) الحديث في البخاري (اعتصام : ٢) ومسند أحمد ٣ : ٣٦١ .

وجل أن مالك بن أنس وابن القاسم يُلزمان الناس بتقليدهما وهما يقرّان أنهما لا يعلمان أحقٌّ ما أفتيا برأيهما أم باطل ؟ وقد صحَّ ما هو أغلظ من هذا ، وهو أن مالكاً رضي الله عنه تمنَّى عند موته أن يُضْرَبَ بكلِّ مسألةٍ أفتى فيها برأيه سوطاً . وهكذا كان الأئمة الفضلاء قبل زماننا هذا المدبر ، رضي الله عنهم وعن الباقين ، وفاءَ بالجميع إلى طاعته ، ووالله لقد خذل الله عز وجل أمةً تدين بشيء تمنَّى قائله أن يضربَ بالسياط ولا يقوله .

وأما ما ذكرتم من أمر قارئ هذه العلوم إن حضر بباله عند [1] الاشتغال بها حبُّ الرئاسة في الدنيا وطلب الظهور ، وكيف إن كان معظم نيته هذا المعنى . فهذا مذهب سوء . صَحَّ عن النبي أنه قال [2] : « من تعلم علماً مما يبتغي به وجـهَ الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة » . والحديث الصحيح الذي رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنه [3] « يؤتى يوم القيامة برجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه الله نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت القرآن قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ ، وقد قيل . ثم أمر به فَسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار » ، والحديث الصحيح عن النبي أنه قال [4] : « إن الله تعالى قال : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركَهُ » .

وفيما ناولني حمام بن أحمد ، وأخبرني أنه أخبر به العباس بن أصبغ [٢٤٧/أ] عن محمد بن عبد الملك بن أيمن . نبا إسماعيل بن إسحاق القاضي ببغداد ، نبا إسماعيل ابن أبي أويس ، ثني أخي يعني أبا بكر ، عن سليمان بن بلال ، عن إسحاق بن يحيى ابن طلحة ، عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [5] : « من ابتغى العلم ليباهي به العلماءَ ويماري به السفهاء ، أو ليقبل بأفئدة الناس إليه فإلى النار » . وهذه أحاديث في غاية الصحة ، وأولاد كعب بن مالك ثقات كلهم ، وهم ثلاثة مشهورون : عبد الله وعبد الرحمن وسعيد . فهذا أصلحكم الله وإيانا فتيا

---

(١) ص : هـذا .

(٢) الحديث في أبي داود (علم : ١٢) ومسند أحمد ٢ : ٣٣٨ .

(٣) ورد في صحيح مسلم (إمارة : ١٥٢) والنسائي (جهاد : ٢٢) ومسند أحمد ٢ : ٣٢٢ ؛ ٣ : ٨١ .

(٤) ورد في صحيح مسلم (زهد : ٤٦) ومسند أحمد ٣ : ٤٦٦ ؛ ٤ : ٢١٥ .

(٥) من ابتغى العلم ... الخ : هذا الحديث راوه البيهقي ، والعقيلي في الضعفاء ، والحاكم في المستدرك ، انظر راموز الأحاديث : ٣٩٥ والترمذي (علم : ٦) وابن ماجه (مقدمة : ٢٣) .

نبيكم عليه السلام ، وكلام ربكم عز وجل ، فبأيِّ حديثٍ بعد الله وآياتِهِ تؤمنون [١] ؟ أم أي قول بعد قول الله تعالى وكلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تطلبون وتقرءون [٢] ؟ لا كفى الله من لم يكفه قولُ ربه تعالى ، وقول نبيه عليه السلام . فالله الله عبادَ الله ، تداركوا أنفسكم بتصفية نياتكم في هذا الباب وفي العمل المرغوب في الصلاة والصيام والصدقة ، ولا تشوَّفوا في شيء منه قصداً لغير وجه الله تعالى ؛ فوالذي لا إله إلا هو إن من طلب علماً من علوم الديانة ليدرك به عَرَضَ دنيا أو ذِكْراً في الناس أو عمل عملاً مما أمره الله تعالى بعمله له فعمله هو لغيره تعالى ، لقد كان أحظى له في آخرته وأسلم في عاقبته وأنجى له عند ربه تعالى أن يكون دفَّافاً أو بهزرياً [٣] . ووالله لأن يلقى الله تعالى عبدٌ بكلِّ بائقةٍ [٤] دون الشرك ، لا أخصُّ من ذلك قتلَ النفس ولا قَطْعَ الطريق ولا ما دونهما ، أخفُّ وزراً من أن يلقاه وقد تدين لغيره وصلَّى وصام لسواه .

واعلموا رحمكم الله أن من تعمد اللهو واللعب حتى مضى وقتُ صلاةٍ مفروضة ولم يصلّها ، أخف ذنباً عند الله تعالى ممن صلاها لأجل الناس ، ولولاهم ما صلاها ، لأن كل إنسان من الذين ذكرنا لم يصلِّ الصلاة التي أُمر بها ، وزاد هذا الآخر على الأول أن صلاها لغير الله تعالى ؛ وكذلك من طلب العلم لغير الله تعالى ، فإنه ترك الاشتغالَ بما يصلحه في دنياه وبما يروِّح به نفسه من البطالة ، وأتعب نفسه في أفضل الأعمال ، فقصد به التقرب إلى الناس فوكله الله إلى من قصده ، وقال عليه السلام [٥] : [٢٤٧ ب] « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » أو كما قال عليه [السلام] ، فالجدَّ الجدَّ فإن لإبليس اللعين ها هنا مسلكاً خفيًّا ومدبًّا [٦] لطيفاً ومولجاً دقيقاً يُحبطَ به الأعمال وَيُهْلِكُ به الرجالَ ، أجارنا الله وإياكم من كيده وبغيه ، ولا وكلنا إلى أنفسنا طَرْفَةَ عين فنهلك .

وأنا أريكم إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ميلقاً [٧] يعرف به كل

---

(١) انظر سورة الجاثية ، الآية : ٦ .

(٢) ص : ويقرون .

(٣) كذا وردت في ص ؛ ولعلها : بيزريا أو هنزمريا وهو الذي يحيي الهنزمر وهو عيد من أعياد العجم .

(٤) ص : نافقة .

(٥) مرَّ تخريجه : ١٣٣ .

(٦) ص : ودبناً .

(٧) ص : ميدقاً ؛ والميلق : أداة يملس بها الذهب ، أو لعله يختبر ، وهذا هو المقصود هنا .

واحد منكم وغيركم ممن يقرأ كتابي هذا ، إن كانت نيته صادقة لله عز وجل أو مشوبة بقصدٍ [1] إلى غيره ، وذلك أن يفكر المرء في نفسه فيما يعمل من طلب علم أو فعل بر فيقولَ لها : يا نفسُ ، أرأيت لو أن من يراني أو يبلغه خبري من الناس يكون طريقتهم في العلم وفي طلبه وفي عملهم على خلاف ما هم عليه .كانوا يكرهون هذا الوجه من طلبي لما أطلب ، ولا يستحسنون ما أفعل من البر ، أكنت تفعلينه أم لا ؟ فإن علم من نفسه أنها كانت تفعل ذلك ، سخط الناس أم رضوا ، نفق عندهم أو كسد ، فليحمد ربه تعالى وليبشر ، كان [2] عمله وطلبه خالصاً . وإن وَجَدَ نفسه تخبره أن الناس لو كرهوا ما يطلب وما يعمل لم يطلبه ولم يعمله ، فليعلم أنه هلك وأن عمله وتعبه عليه لا له ، وأنه قد خسرت صفقته ، وأنه قد أشرك في نيته وعمله غير ربه تعالى ، إذ قرن به الناس ، فمن أضيع [3] عملاً أو أسوأ منقلباً من هذا ؟ نعوذ بالله من هذه المرتبة ، ونسأله التوقِّي من هذا . وليتَ شعري على ماذا يحصل المسكين الذي يطلب العلم ليحظى [4] به في دنياه ؟ والله لا حصلَ من ذلك إلا [5] على دنيا منغصة ، ولباس خشن ، ولذات يستتر بها استتار الغراب بسفاده ولا يتهناها موفّرة ، وعلى ما [6] لا توفى نفسه منها . ولو طلب الدنيا على وجهها لكان أنفذ لأمره وأعظم لجاهه وأكثر لماله وأوفر للذته وأتم لهيبته ، وأقل لوزره ، وأخف لعذابه . ولا يغرّنكم ما يقول كاذبٌ على العلماء : « طلبنا العلم لغير الله ، فما زال بنا حتى ردَّنا إلى الله » ، فلعمري إن جديراً ألا يبارك [7] تعالى في كل شيء ابتدأ لغير وجهه عز وجل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل [٢٤٨/أ] .

وأما إن نوى في عمله أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر ، ويحكم بالعدل إن ولي شيئاً من أمور المسلمين ، وأن يظهر في ذلك الحق ما أمكنه ، رضي الناس أم سخطوا ، وأحب مع ذلك أن لا يذل ويكرم ، وكانت نيته أن لا تأخذه في الله لومة لائم إن آتاه الله حظاً من الدنيا ، وسره أن يؤتى مالاً حلالاً لا يأكله بخلافه ولا يكتسبه بدينه ولم يترك

---

(١) ص : لقصد .

(٢) ص : فإن .

(٣) ص : أطيع .

(٤) ص : ليحضا .

(٥) ص : إلى .

(٦) ص : مال .

(٧) ص : تبارك وتعالى .

لذلك أمراً يعتقده حقاً ، ولا استعمل لأجل رغبته فيما ذكرنا أمراً يراه باطلاً ، فهذه نية خير ومقصد حسن ، ومذهب فاضل كانت عليه الصحابة والتابعون وأئمة الخير . وقد قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] [1] : « المؤمن القويّ أحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف » . وقد أثنى الله تعالى على ﴿ الذين إنْ مَكّنّاهُمْ في الأرضِ أَقَامُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأَمروا بالمعروفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ﴾ (الحج : ٤١) والدلائل على كل ما قلنا من القرآن والحديث تكثر جداً ، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى .

٤ ـ وأما ما سألتم عنه من أيّ الأمور أفضل في النوافل : الصلاة أم الصيام أم الصدقة ؟ فقد جاءت الرغائب في كل ذلك ، وكلها فعل حسن ، وما أحب للمؤمن أن يخلو من أن يضرب في هذه الثلاث بنصيب ولو بما قلّ ، إلا أن الصدقة الجارية في الثمار في الأرضين أحبُّ إليَّ من الصلاة والصوم في التنفل . وقد روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إذا صمتُ ضعفتُ عن الصلاة ، والصلاةُ أحبُّ إليَّ من الصيام » ، ولسنا نقلّد في ذلك ابن مسعود ، ولا نقول أيضاً إن هذا ليس كما قال ، ولكني أقول : « والله أعلم » ، إذ لا نصَّ في ذلك عن النبيّ عليه السلام ؛ ولكني قد قلت : إني أحبُّ للمؤمن أن يضرب في كل هذه الثلاثة بنصيب ويأخذ بحظه من كلّ واحد منها وإن قل ، فذلك إن شاء الله خير له بلا شك من أن يأخذ بإحداهنّ ولا يأخذ من الباقيين نصيباً . وبيان ذلك أنه قد صح عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن المصلين يُدْعَوْن [2] من باب الصلاة ، والصائمين يدعون [2] من باب الصيام ، وأصحاب الصدقة يدعون من باب الصدقة [3] ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها . فقال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم . فإنما اخترنا ما بشَّر به [٢٤٨ ب] النبيّ صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، وحسبك بهذا اختياراً فاضلاً ، جعلنا الله وإياكم من أهله ، آمين .

٥ ـ وأما ما سألتم عنه مما روي في حديث التنزل ، وهل الإجابة مضمونة في تلك الساعة ، فحديث التنزل صحيح ، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ ادْعُوني

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم (قدر : ٣٤) .

(٢) ص : يدعوا .

(٣) انظر هذا الحديث في صحيح البخاري (صوم : ٤ ؛ فضائل أصحاب النبي : ٥) ومسلم (زكاة : ٨٥) ومسند أحمد ٢ : ٢٦٨ .

أسْتَجِبْ لكم﴾ (غافر : ٦٠) ، وأخبرنا تعالى أنه لا يخلف الميعاد ، ولكن ها هنا بينت ما سألتم عنه بياناً شافياً وهو قوله تعالى : ﴿ إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيّبُ والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر : ١٠) ، فإنما شرط الإجابة العمل الصالح ، أو أن يكون الداعي مظلوماً ، على ما جاء في الأثر عن النبي عليه السلام فمن دعا وعمله صالح أو هو مظلوم فقد جاء في الأثر عن النبي عليه السلام : أن دعاء المؤمن لا يخلو من إحدى ثلاث : إما تعجيل إجابة ، وإما كفاية بلاء ، وإما تعويض أجر ، أو كلاماً هذا معناه . فاعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دفع الله تعالى عنه بلاء ، أو عوضه أجراً فقد أجاب دعاءه ولم يخيبه ، وللإجابة في اللغة معنى غير الإسعاف ، يقال في اللغة : ناديت فلاناً فأجابني ، ودعوته فأجابني بمعنى أتاني ، فالإجابة من الله تعالى بمعنى قَبولِ عملِ العامل في الدعاء وتعويضه عنه الأجر ودفعه عنه البلاء ، وربما يفضل الله تعالى بإسعافه في أن يكون ما طلب ، إذا كان مما سبق في علم الله تعالى أن يكون .

٦ ــ وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربُّصِ بعضهم ببعض ، فهذا أمرٌ امتحنا به ، نسأل الله السلامة ، وهي فتنة سوء أهلكت الأديانَ إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب . وعمدةُ ذلك أن كل مدبِّرٍ مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، أوَّلها عن آخرها ، محاربٌ لله تعالى ورسوله وساعٍ في الأرض بفساد ؛ للذي ترونه عياناً من شنّهم الغاراتِ على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارّهم ، وإباحتهم لجندهم قَطْعَ الطريقِ على الجهة التي يقضون [1] على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورةٍ لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدامُ نفاذِ أمرهم ونهيهم . فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساقُ والمنتسبون إلى الفقه [٢٤٩/أ] ، اللابسون جلودَ الضأن على قلوب السباع ، المزينون لأهلِ الشرِّ شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم . فالمَخْلَصُ لنا فيها الإمساكُ للألسنةِ جملةً واحدةً إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذم جميعهم ؛ فمن عجز منا عن ذلك رجوتُ أن تكون التقيةُ تَسَعُهُ ، وما أدري كيف هذا ، فلو اجتمع كلُّ من ينكر هذا بقلبه لما غُلِبُوا . فقد صحَّ عن النبيِّ

(١) ص : يعصون ؛ ولعلها (ينقضون) .

صلى الله عليه وسلم أنه قال [1] : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » . وجاء في بعض الأحاديث : ليس وراء ذلك من الإيمان شيء ، أو كما قال عليه السلام ؛ وجاء في الأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم [2] : « لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليعمّنكم الله بعذاب » . واعلموا رحمكم الله أنه لا عذاب أشد من الفتنة في الدين ، قال الله تعالى : ﴿ والفتنةُ أشدُّ مِنَ القتْلِ ﴾ (البقرة : ١٩١) ، فأما الغرض الذي لا يسع أحداً فيه تقية ، فأن لا يعين ظالماً بيده ولا بلسانه ، ولا أن يزّين له فعله ويصوّب شره ، ويعاديهم بنيته ولسانه عند من يأمنه على نفسه ، فإن اضطر إلى دخولِ مجلسِ أحدهم لضرورةِ حاجةٍ أو لدفع مظلمة عن نفسه أو عن مسلم ، أو لإظهار حقّ يرجو إظهاره ، أو الانتصاف من ظالم آخر ، كما قال تعالى : ﴿ وكَذَلكَ نُوَلّي بعضَ الظَّالمينَ بَعْضاً بما كانُوا يَكْسِبونَ ﴾ (الأنعام : ١٢٩) أو لصداقة سالفة ـ فقد يصادق الإنسان المسلمُ اليهوديَّ والنصرانيَّ لمعرفة تقدمت ـ أو لطلب يعانيه ، أو لبعض ما شاء الله عز وجل ، فلا يزيِّنْ له شيئاً من أمره ولا يعينه ولا يمدحه على ما لا يجوز ، وإن أمكنه وَعْظُهُ فليعظه ، وإلا فليقصد إلى ما له قصد غيرَ مصوِّبٍ له شيئاً من معاصيه ، فإن فعل فهو مثله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إلى الّذينَ ظلموا فَتَمَسَّكُم النارُ ﴾ (هود : ١١٣) وفي هذا كفاية .

٧ ـ وأما ما سألتم عنه من وجه السلامة في المطعم والملبس والمكسب ، فهيهات أيها الإخوة ، إن هذا لمن أصعب ما بحثتم عنه وأوجعه للقلوب وآلمه للنفوس . وجوابكم في هذا أن الطريق ها هنا طريقان : طريق الورع ، فمن سلكه فالأمر ـ والله ـ ضيق حرج . وبرهانُ ذلك أني لا أعلم لا أنا ولا غيري بالأندلس درهماً حلالاً [٢٤٩ ب] ولا ديناراً طيباً يُقْطَعُ على أنه حلال ، حاشا ما يستخرَجُ من وادي لاردة [3] من ذهب ، فإنَ الذي ينزل منه في أيديهم ، يعني أيدي المستخرجين له بعد ما يؤخذ منهم ظلماً فهو كماء النهر في الحلّ والطيب ، حتى إذا ضُرِبَتِ الدراهم وسبكت الدنانير فاعلموا أنها تقعُ في أيدي الرعية فيما يبتغونه من الناس من الأقوات التي لا تؤخذ إلا منهم ، ولا

(١) انظر الجامع الصغير ٢ : ١٧١ .

(٢) هو في باب الفتن من سنن الترمذي وابن ماجه (٨ ، ٢٠) ومسند أحمد ١ : ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ؛ ٦ : ٣٠٤ ، ٣٣٣ ، وانظر الجامع الصغير ٢ : ١٢٢ .

(٣) تقع لاردة (Lerida) شرقي مدينة وشقة على نهر يخرج من أرض جليقية وهو النهر الذي تلقط منه برادة الذهب الخالص ، واسم النهر شيقر Segar (الروض المعطار : ٥٠٣ والترجمة : ٢٠٢) .

توجد إلا عندهم من الدقيق والقمح والشعير والفول والحمص والعدس واللوبيا والزيت والزيتون والملح والتين والزبيب والخل وأنواع الفواكه والكتان والقطن والصوف والغنم والألبان والجبن والسمن والزبد والعشب والحطب . فهذه الأشياء لا بدَّ من ابتياعها من الرعية عُمَّارِ الأرض وفلاحيها ضرورة . فما هو إلا أن يقع الدرهم في أيديهم ، فما يستقر حتى يؤدوه بالعنف ظلماً وعدواناً بقطيعٍ [1] مضروب على جماجمهم كجزيةِ اليهود والنصارى ، فيحصلُ ذلك المال المأخوذ منهم بغير حقٍّ عند المتغلب عليهم ، وقد صار ناراً ، فيعطيه لمن اختصه لنفسه من الجند الذين استظهر بهم على تقوية أمره وتمشية دولته ، والقمعِ لمن خالفه والغارة على رعيةِ مَنْ خرج من طاعته أو رعية من دعاه إلى طاعته ، فيتضاعف حرُّ النار ، فيعامل بها الجندُ التجارَ والصُّناعَ ، فحصلت بأيدي التجار عقاربَ وحياتٍ وأفاعي ، ويبتاع بها التجارُ من الرعية . فهكذا الدنانير والدراهم كما ترون عياناً دواليبُ تستدير في نار جهنم ، هذا ما لا مدفع فيه لأحد . ومن أنكر ما قلنا بلسانه فحسبه قلبه يعرفه معرفة ضرورية ، كعلمه أن دون غدٍ اليوم . فإذا فاتنا الخلاصُ فلا يفوتنا الاعترافُ والنـدم والاستغفار ، ولا نجمع ذنبين : ذنب المعصية وذنب استحلالها ، فيجمع الله لنا خزيين وضعفين من العذاب . نعوذ بالله من ذلك ، ولنكنْ كما قال تعالى : ﴿ والذينَ إذا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يغفرُ الذُّنوبَ إلّا الله ولم يُصِرُّوا على ما فَعَلوا وَهُمْ يَعلمون﴾ (آل عمران : ١٣٥) ، هذا مع ما لم نزل نسمعه [2] سماعَ استفاضة توجبُ العلم الضروريَّ أن الأندلس لم تُخَمَّسْ وتقسم كما فعل رسولُ الله فيما فَتَح . ولا استطيبت أنفسُ المستفتحين ، وأقرت لجميع [٢٥٠/أ] المسلمين ، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتح ، لكن نُفِّذَ الحكمُ فيها بأنَّ لكلِّ يدٍ ما أخذت . ووقعت فيها غلبة بعد غلبة ، ثم دخل البربر والأفارقة فغلبوا على كثير [من القرى دون قسمة] [3] ، ثم دخل الشاميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم ، كما ترون الآن من فعل البربر ، ولا فرق ، وقد فشا في المواشي ما ترون من الغارات و[في] ثمار الزيتون ما تشاهدون من استيلاء

---

(١) القطيع هنا بمعنى الضريبة المفروضة ، وسيشرحها في ما يلي .

(٢) ص : فنسمع .

(٣) ما بين معقفين غير واضح في النسخة ، وقد استوفيته من كتاب فجر الأندلس : ٦٢١ للدكتور مؤنس . وهذا الكتاب قد نقله مما نشره بلاسيوس في مجلة الأندلس ، المجلد الثاني : ١٩٣٤ .

البربر والمتغلبين على ما بأيديهم إلا القليل التافه ، ومشى في بلاد المتغلبين يقيناً العرى الحالسة [1] ظلم بظلم . وهذا باب الورع وقد أعلمتكم أنه ضيق .

وأما الباب الثاني فهو باب قبول المتشابه ، وهو في غير زماننا هذا باب جيد لأنه لا يؤثم صاحبه ، ولا يؤجر ، وليس على الناس أن يتجنَّوا على أصول ما يحتاجون إليه في أقواتهم ومكاسبهم إذا كان الأغلب هو الحلال وكان الحرام مغموراً . وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه ، فإنما هو باب أغلق [......] فرقت بين زماننا هذا والزمان الذي قبله ، لأن الغايات [......] [2] فإنما هي جزية على رءوس المسلمين يسمونها بالقطيع ، ويؤدونها مشاهرةً وضريبة على أموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل ، يرسم على كل رأس ، وعلى كل خلية شيء ما ، وقبالات ما ، تؤدى على كل ما يباع في الأسواق ، وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد . هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم ، وهذا هو هتك الأستار ونقض شرائع الإسلام وحل عراه عروة عروة ، وإحداث دين جديد ، والتخلي [3] من الله عز وجل . والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشيةَ أمورهم لبادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسرهم معهم آمنين [4] ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه .

فإن قلتم : نحن نجتنب اللحم ، فأنتم تعلمون علماً يقيناً أن المواشي المغنومة ليست تباع للذبح فقط ، بل تباع للنسل والرِّسْل كثيراً وللحرث بها ، فتباع ويؤخذ فيها الثمن ، وهو نار لأنه بدل من المثمون ومالٌ أُخِذَ بالباطل ، ثم ينصرف في أنواع التجارات والصناعات في الملابسات [٢٥٠ ب] ، فيمتزج الأمر . فهذا مالا أحيلكم فيه على غائب ، لكن ما ترونه بعيونكم وتشاهدونه أكثر من مشاهدتي له . وأنتم ترون الجندَ في بلادكم لا يأخذون أرزاقهم إلا من الجزية التي يأخذها المتغلبون من المسلمين فيما يباع في أسواقهم على الصابون والملح وعلى الدقيق والزيت وعلى الجبن وعلى سائر السلع ، ثم بتلك الدراهم الملعونة يعاملون التجار والصناع . فحسبكم وقد علمتم ضيق

---

(١) كذا هو في ص . ولا أدري ما صوابه .

(٢) ما هو بياض بين معقفين قد ذهب جانب منه لأنه كتب في الحاشية .

(٣) ص : والنحل .

(٤) العبارة غير واضحة . وهي صورة لما في ص .

الأمر في كل ما يأتي من البلاد التي غلب عليها البربر من الزيت والملح ، وأن كل ذلك غُصِبَ من أهله ، وكذلك الكتان أكثره من سهم صنهاجة الآخذين النصفَ والثلثَ ممن أنزلوا عليه من أهل القرى ، وكذلك التبن مزرقة ، وأما القمح فهو أشبه بيسير ، لأن الأرض وإن كانت مغصوبة فالزرع لزراعه حلال وعليه إثم الأرض ، إلا أن تكون الزريعة مغصوبة ، فحصلنا في شعل نار [أشد] من ذي قبل ؛ ولكن التخلص لنا ولكم أن لا يأخذ الإنسان فيما يحتاج إليه ما أيقن أنه مغصوب بعينه ، ولعلنا فيما جهلنا من ذلك أعـذر قليلاً فإن النار المدفونة في الرماد أفتر حراً من النار المؤججة المشتعلة ، فواغوثاه .

٨ ـ وأما ما سألتم عنه من تفاضل الكبائر ، فنعم ، فالحسنات تتفاضل والكبائر تتفاضل ؛ سئل صلى الله عليه وسلم عن أكبر الكبائر ، فذكر عليه السلام أشياء ، منها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور . واستعظم عليه السلام أشياء منها زنا الزاني بامرأة جاره ، ومنها زنا الشيخ ومنها زنا الزاني بامرأة المجاهد ، فهذه الوجوه أعظم عند الله بنصٍ نبيه عليه السلام [من] سائر [1] وجوه الزنا وكل عظيم ؛ وذكَرَ كذبَ الكاذب أيضاً بعد العصر ، فدلَّ على أنه أعظم منه إثماً في سائر الأوقات ، وذكر عليه السلام كذبَ السلطان وزهو الفقير ، فعلمنا بذلك أن الكذب من الملك أعظم ذنباً من كذب غيره ، وأن زهو الفقير أكبر إثماً من زهو الغني . وكذلك الإلحادُ بالبيت والظلم بمكة أعظم منه في سائر البلاد ، والقتل بلا شك أعظم إثماً من اللطمة والضربة ، والكذب على النبي أشنع من الكذب على غيره . قال النبي عليه السلام [2] : « إن الكذب [عليَّ] أعظم من الكذب على غيري فمن كذب عليَّ فليلج النار » [٢٥١/أ] ، وإن شعبة بن الحجاج رحمه الله يقول : لأن أزني أحبُّ إليَّ من أن أدلِّس ، وأنا أقول : لأن يُضْرَبَ عنقي أو أصلبَ أو يُرْمَى بي وأهلي وولدي أحبُّ إليَّ من أن أقطعَ الطريقَ أو أقتلَ النفسَ التي حرم الله بغير الحق ، وأنا أعلم أن ذلك حرام ، [وهذا] أحب إليَّ من أن أستحلَّ الاحتجاجَ بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا أعتقده صحيحاً ، أو أن أردّ حديثاً صحيحاً عنه عليه السلام ، ولم يصحَّ نسخه بنص آخر ، ولا صح عندي تخصيصه بنص آخر ، فالكبائر تتفاضل كما أخبرتكم تفاضلاً بعيداً ، وكذلك العذاب عليها يتفاضل كما تتفاضل الحسنات ويتفاضل الجزاء عليها ؛ صح عن النبي صلى الله

---

(١) ص : وسائر .

(٢) انظر الحديث في البخاري (علم : ٣٨) ومسلم (زهد : ٧٢) ومسند أحمد ٢ : ٤٧ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٥٠ .

عليه وسلم [أنه] قال [1] : « إن أهل الجنة يتراءون مَنْ فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ » . وصحَّ عنه عليه السلام أنه أمرنا أن نسأل الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلاها ، وفوق ذلك عرش الرحمن [2] . وجاء نص القرآن بأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار [3] . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذاب﴾ (غافر ٤٦) ، والأشد والأسفل لا يقعان إلا بالإضافة إلى ما هو أخف وأعلى . وجاء الحديث الصحيح [4] أن أبا طالب يخفف عنه العذاب بنعلين في رجليه يغلي منهما دماغه ، وأنه أخرج عمه من النار إلى ضحضاح منها ، وأنه أخف أهل النار عذاباً . هذا الذي ذَكرتُ معاني الحديث التي ذكرتُ لكم .

فهذا أصلحكم الله بيان ما سألتم عنه حسب ما علمني الله عز وجل ، لم أقل شيئاً من ذلك من عند نفسي ، ويعيذني الله أن أقول في شيء من الدين برأي أو بقياس ، لكن حكيتُ لكم ما قاله الله تعالى وعهده إليكم نبيكم عليه السلام . ولعمري إني لأفقر منكم إلى قبول ما أوصيتكم به ، وأحوج إلى استعماله . فإني والله أعلم من عيوب [نفسي أكثر مما أعلم من عيوب] كثير من الناس ونقصهم . وقد توصل الشيطان إلى جماعة من الناس بأن أسكتهم عن تعليم الخير ، بأن وسوس إليهم ، أو لمن يقول لهم : إذا أصلحتم أنفسكم ، فحينئذ اسعوا في صلاح غيركم ؛ وربما اعترض عليهم بقول الله عز وجل : ﴿ عَلَيْكُمْ أنفسَكُمْ لا يضرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهتديتم﴾ (المائدة : ١٠٥) وبقوله تعالى : ﴿ أَتأْمُرُونَ النّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنفسكم﴾ (البقرة : ٤٤) الآية ، والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم [5] : أن رجلاً يقذف به في النار فتندلق أقتابه [٢٥١ ب] فيقول له أهل النار : يا فلان ألستَ الذي كنتَ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : نعم ، كنت آمركم بالمعروف ولا أفعله ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه ، أو كما قال عليه السلام ، فأسكتهم عن تعليم الخير . فاعلموا رحمكم الله أن الآية الأولى لا حجة فيها للمعترض بها فيها ، لأنه ليس فيها نهي لنا عن أن

---

(١) ورد الحديث في البخاري (بدء الخلق : ٨ ؛ رقاق : ٥١) ومسلم (جنة : ١٠ ، ١١) ومسند أحمد ٢ : ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٥ : ٣٤٠ .

(٢) انظر مسند أحمد ٢ : ٣٣٥ ، ٣٣٩ .

(٣) سورة النساء : ١٤٥ .

(٤) انظر هذا الحديث في مسلم (إيمان : ٣٦٢) ومسند أحمد ٣ : ٢٧ ، ٧٨ .

(٥) ورد في البخاري (بدء الخلق : ١٠) ومسلم (زهد : ٥١) ومسند أحمد ٥ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

نهى مَنْ ضلَّ عن ضلالة ، ولكن فيها تطييب لأنفسنا عن غيرنا ولا يضرنا من ضلَّ إذا اهتدينا . وقد جاء في بعض الآثار أن المنكر إذا خفي لم يؤخذ به إلا أهله ، وأنه إذا أعلن فلم ينكره أخذ فاعله وشاهده الذي لا ينكره [1] . فإنما في هذه الآية إعلام لنا أننا لا نُضَرُّ بإضلال مَنْ ضلَّ إذا اهتدينا و[على] من اهتدى بنا أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وأما [2] الآية الثانية فلم ينكر فيها الأمر بالبر ، وإنما أنكر استضافة إتيان النكر إليه ، ونعم . معترفون لها [3] بذنوبنا منكرون على أنفسنا وعلى غيرنا ، راجعون الأجر على إنكارنا ، خائفون العقاب على ما نأتي مما ندري أنه لا يحل . ولعل أمرنا بالمعروف وتعليمنا الخير ونهينا عن المنكر ، يحطُّ به ربنا تعالى عنا ما نأتي من الذنوب ، فقد أخبرنا تعالى أنه لا يضيع عمل عامل منا . وأما الحديث المذكور فهو رجلٌ غلبتْ معاصيه على حسناتِهِ ، فإن كان مستحلاً للمنكر الذي كان يأتي ومرائياً بما يأتي به ، فهذا كافر مخلد في نار جهنم ، ويكفي من بيان هذا قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة : ٧ ــ ٨) . فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعصى مع ذلك ، فوالله لا ضاع له ما أسلف من خير ولا ضاع عنده ما أسلف من شر ، وليوضعنَّ كلُّ ما عمله يومَ القيامةِ في ميزان يرجِّحه مثقالُ ذرة ، ثم ليجازَيَّن بأيهما غلب . هذا وعدُ الله الذي لا يخلف الميعاد . وقد أمر تعالى فقال : ﴿ ولتكنْ منكم أمةٌ يَدْعُون إلى الخيرِ ويأمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر وأولئك هُمُ المفْلِحُونَ﴾ (آل عمران : ١٠٤) ، وقال تعالى﴿ فلولاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدين ولينذروا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعوا إليهمْ لعلَّهم يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة : ١٢٢) ، فأمر تعالى مَنْ نَفَرَ ليتفقه في الدين بأن ينذر قومه ، ولم ينهه عن ذلك إن عصى ، بل أطلق الأمر عاماً ، وقال تعالى : ﴿ وما يَفْعَلوا مِنْ خيرٍ فلن يُكْفَرُوهُ﴾ (آل عمران : ١١٥) ، فمن رام أن يصدَّ عن هذه السبيل بالاعتراض الذي قدمنا ، فهو فاسق صادٌّ عن سبيل الله ، داعيةٌ من دواعي النار ، ناطقٌ بلسان الشيطان ، عَوْنٌ لإبليسَ على ما يحب ، إذ لا ينهى عن باطل ولا يأمر بالمعروف ولا يعمل خيراً . وقد بلغنا عن مالك أنه سئل عن مسألة فأجاب فيها ، فقال له قائل : يا أبا عبد الله ، وأنت لا تفعل ذلك ، فقال : يا ابن أخي ليس [٣٥٢/أ] في الشر قدرة . ورحم الله الخليل بن أحمد الرجل الصالح حيث يقول :

(١) ص : يقره (وقد يصح بحذف لا) .

(٢) ص : وإنما .

(٣) لها : لا أدري وجه موقعها هنا .

اعمـل بعلمي ولا تنظرْ إلى عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري [1]

وَذُكِرَتْ هذه المسألة يوماً بحضرة الحسن البصري رضي الله عنه فقال [2] : ودَّ إبليس لو ظفر منا بهذه ، فلا يأمر أحد بمعروف ولا [ينهى] عن منكر . وصدق الحسن ، لأنه لو لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يذنب ، لما [3] أمر به أحدٌ من خلق الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلٌّ منهم قد أذنب وفي هذا هدمٌ للإسلام جملة . فقد صحَّ عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أحد إلا وقد ألمَّ ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا » أو كلام هذا معناه .

فخذوا حذركم من إبليس وأتباعه في هذا الباب ، ولا تدعوا الأمر بالمعروف وإن قصرتم في بعضه ، ولا تدعوا النهيَ عن منكر وإن [كنتم] تواقعون بعضه ، وعلموا الخير وإن كنتم لا تأتونه كله ، واعترفوا بينكم وبين ربكم بما تعملونه بخلاف ما تعلمونه ، واستغفروا الله تعالى منه دون أن تعلنوا بذكر فاحشة وقعت منكم ، فإن الإعلان بذلك من الكبائر ؛ صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . فلعل أحدنا يستحيي من ربه تعالى إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو يعلم من نفسه خلاف ما يقول يكون ذلك سببَ إقلاعه ومقته لنفسه ، ولعل الاعتراف لله تعالى والاستغفار المردد له يوازي ما يقصر فيه ، فيحطّ عنا تعالى ربنا ذو الجلال ، وقد قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ ﴾ (النساء : ١٠٨) . وقد أمرنا الله تعالى على لسان نبيه بالاستخفاء بالمعاصي إذا وقعت ، ونهينا عن الإعلان بها أشد النهي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً معناه [4] : « كل الناس معافى إلا المجاهر ، والإجهارُ أو من الإجهار ، الشك مني ، أن يبيتَ المرء يعمل عملاً فيستره الله عليه ، ثم يصبح فيفضح نفسه ، أو كما قال عليه السلام . فإنما أنكر فعل المعصية نفسها ثم وصف عز وجل [أنهم] مع ذلك يستخفون من الناس وأنه معهم ، فلا يمكنهم الاستخفاء منه بل هو عالم بذلك كله . وإذا رأيتم من يعتقد أنه لا ذنب له فاعلموا أنه قد هلك ؛ وإن العُجْبَ [5] من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال . فتحفظوا حفظنا الله وإياكم من العُجْبِ والرياء . فمن امتحن

---

(١) اعمل بعلمي ... البيت في عيون الأخبار ٢ : ١٢٥ ونور القبس : ٦١ وطبقات الزبيدي : ٤٣ .

(٢) انظر الجزء الأول من رسائل ابن حزم : ٤١٤ .

(٣) ص : لمن لا .

(٤) انظر البخاري (أدب : ٦٠) ومسلم (زهد : ٥٢) نصه في البخاري : كل أمتي معافى إلا المجاهرون ؛ وفي مسلم : كل أمتي معافاة إلا المجاهرين وان من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ... الخ .

(٥) قارن هذا بما جاء عن العجب في رسالة مداواة النفوس ، في الجزء الأول : ٣٨٦ وما بعدها .

بالعجب في علمه فليفتكر فيمن هو أفضل عملاً منه ، وليعلم أنه لا حول ولا قوة له فيما يفعل من الخير ، وأن ذلك إنما [٢٥٢ ب] هو هبة من الله تعالى ، فلا يتلقاها بما يوجب أن يسلبها ولا يفخر بما حصل له فيه ، لكن ليعجبه فضل ربه تعالى عليه ، ليعلم أنه لو وكل إلى نفسه طرفة عين لهلك . وأما الرياء فلا يمنعكم خوف الرياء أن يصرفكم عن [1] فعل الخير ، لأن لإبليس في ذم الرياء حبالةً ومصيدة ، فكم رأيت من ممتنع من فعل الخير خوف أن يظن به الرياء ، ولعلكم قد امتحنتم بهذا ، ولكن أصفوا نياتكم لله تعالى ، ثم لا تبالوا من كلام الناس فإنما هو ريح وهواء منبثّ ، وقلَّ والله ضرر كلامهم وكثر نفعه لكم ، فعليكم بما تنتفعون به في دار قراركم وعند من يعلم سركم وجهركم وعند من يملك ضركم ونفعكم ، وحده لا شريك له .

٩ ـ واعلموا أن كل حديث ذكرته لكم في رسالتي هذه فليس شيء منه إلا صحيح السند متصلٌ ثابتُ بنقل الثقات مُبَلَّغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلا أن الحديث الذي من طريق ابن أبي أويس عن أخيه ، ذكرناه قبل [2] . قد أسيء [3] الثناء على أبي [بكر] لكراهته بعض أئمة الحديث [4] . وحديث الإجهار لم يأت إلا من طريق ابن أخي الزهري ، وقد تُكُلِّمَ فيه ، إلا أن معنى الحديث صحيح فخرج متمماً من سائر الأحاديث الثابتة . لكني أضربت عن الأسانيد خوف التطويل ورجاء الاختصار ، مع أن أكثرها أو كلها مشهورة في المصنفات المشهورة من روايتنا ، والحمد لله رب العالمين .

واعلموا أن كل ما اخترت فيها من صفة ذكر أو كيفية عمل ، فليس من رأيي ، وأعوذ بالله العظيم ، ولكنه كله إما اختيار مرويّ عن النبي وإما عمل ، ولا بد ، وكل ذلك منقول بالأسانيد الصحاح ولله الحمد .

١٠ ـ ومضى في كلامنا ذكر التوبة ، فأردت أن أبين لكم وجوهها ، وإن كانت

---

(١) ص : خوف الرياء أن يطريكم في .

(٢) انظر ما تقدم ص : ١٦٩ .

(٣) ص : أنشأ .

(٤) راجع تهذيب التهذيب ١ : ٣١٠ في ترجمة إسماعيل بن أبي أويس ، وستجد مدى الاختلاف في تعديله وتجريحه ، فقال فيه بعضهم : مخلط ، وقال آخر ضعيف ، غير ثقة ، ونقل ابن حجر عن ابن حزم نفسه في المحلى نقلاً عن آخرين أنه كان يضع الحديث ؛ ومن الغريب ألا يتوقف ابن حزم عنده هنا ، ويكتفي بالتلميح إلى موقف أخيه أبي بكر .

ليست مما سألتم عنه باسمه . لكن نسق الكلام اقتضى إثباتها ، لأنها دخلت فيما سألتم مما يحط الكبائر . فاعلموا أن التوبة تكون على أربعة أضرب :

أحدها : ما بين المرء وبين ربه تعالى من أعمال سوء عملها كالكبائر من الزنا وشرب الخمر وفعل قوم لوط والشرك وما أشبه ذلك . فالتوبة من هذا تكون بالإقلاع والندم والاستغفار وترك المعاودة بفعله وإضمار أن لا يعود بنيته . فإن فعل التائب من هذه الوجوه هذا الفعلَ سقط عنه بإجماع الأمة كلُّ ما فعل من ذلك بينه وبين ربه تعالى . وأيضاً فيمن أقيم عليه الحد مما ذكرنا ومات مسلماً كان ذلك كفارةً لما فعل بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

والضرب الثاني : من عطل فرائض الله عمداً حتى فات وقتها . فقد اختلف الناس ، فقوم قالوا : يقضيها ، وقوم قالوا : لا سبيل إلى قضائها ، وبهذا نأخذ ، لأن من فعل الشيء في غير الوقت الذي أمره الله تعالى أن يفعله فيه ، فلم يفعل الشيء الذي أمره الله تعالى أن يفعله ، وإنما فعل شيئاً آخر [٢٥٣/أ] . وإذا لم يفعل ما أُمِرَ به فهو باق ، وتوبةُ هذا عندنا بالندم والإقلاع والإكثار من النوافل وفعل الخير . كما جاء في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) : « أن من لم يوف فرض صلاته جُبِرَ مِنْ تطَوُّعٍ إن وجد له » . فأما ما كان من هذا فرضاً في المال فليؤده متى أمكنه كالزكاة والكفارات ، لأن الله عز وجل لم يحدَّ لأحد وقت أداء الزكاة والكفارات حدّاً لا يتعدَّى . كما حد عز وجل للصلاة حدّاً وللصيام وقتاً محدود الطرفين معلوم الأول والآخر ينقضي وقت كل ذلك بخروج أوله .

والضرب الثالث : من امتحن بمظالم العباد . من أَخْذِ أموالهم وَضَرْبِ أبشارهم وَقَذْفِ أعراضهم وإخافتهم ظلماً والإفساد عليهم ، فالتوبةُ من هذه ، الخروجُ عن المال المأخوذ بغير حقه وردُّهُ إلى أصحابه أو إلى ورثتهم ، فاما أن يردها إلى الذين غصبها منهم بأعيانهم فقد سقط الإثم عنه يقيناً . وأما إن ردها إلى ورثتهم فقد سقط عنه إثم غصبه ما غصب عن الورثة أيضاً وبقي حق الموتى قِبَلَهُ ، لأنه فعلٌ ثانٍ . فليكثر من فعل الخير ما أمكنه . فإن جُهِلُوا فإلى إمام المسلمين إن كان لهم إمام عدل تجب طاعته ، وإن لم يكنْ فلا بدّ من صرف المال إلى مصالح المسلمين ، لأنه مالٌ لا يُعْرَفُ ربُّهُ ، وليكثر

(١) مما يتصل بهذا المعنى : أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال الله عز وجل : انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملوا به فريضته . ثم الزكاة . ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك (مسند أحمد ٢ : ٤٢٥ ؛ ٤ : ٦٥ ، ١٠٣ ؛ ٥ : ٧٢ ، ٣٧٧) .

مع ذلك من الخير ليجد أربابُ المتاع ما يأخذون منه يومَ القيامة فليس إنصافه عَمْراً بمسقطٍ عنه ظُلْمَ زَيْدٍ . وأما من تاب بزعمه وهو زامٌّ يديه على ما ظلم فيه أو على ما يدري أنه ظلم بعينه بيّنٌ ، فهذا مصرٌّ لا تائب ، ولكنه ممسكٌ عن الازدياد من الظلم ، كإنسانٍ مصرٍّ على الزنا إلا أنه لا يزني . وأما التوبة من ضرب إنسان ، فهو بأن يمكّنَ الإنسانَ من نفسه ليقتصَّ منه أو ليعفو ، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اقتص من نفسه في ضربة بقضيب ، فإن مات المضروب فموعدهما يَوم يُقْتَصُّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء ، ولكنْ ليستكثرْ من فعلِ الخير ليجدَ من ظلم ما يأخذ وما يترك . وكذلك القول في سبِّ الأعراض والإخافة . وأما الإفساد فالتوبة منه بالإقلاع والندم والإصلاح .

والضرب الرابع : من امتحن بقتل النفس التي حرم الله تعالى . وهذا أصعبُ الذنوب مخرجاً ، فقد جاء عن النبيّ : من استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة [٢٥٣ ب] وقد عاينها وشمَّ ريحها ملءُ مِحْجَمٍ من دم امرىءٍ مسلم فليفعلْ ، أو كلاماً هذا معناه . فمن ابتلي بهذه العظيمة ، فتوبته أن يمكّن وليَّ المقتولِ من دمه . فإن قتله فقد اقتص منه وانتصف ، وإن عفا أو كثر قتلاه . فليلزم الجهاد . وليتعرض للشهادة جهده ، فما أرجو أن يكفَّرَ عنه فعلُ شيءٍ غيرها . فإن اعترض معترض بالحديث الذي فيه أن رجلاً قتل مائةً ثم تاب أدخله الجنة (١) ، فلا حجة له فيه ، لأن ذلك كان في الأمم الذين قبلنا ، هكذا نصُّ الحديث المذكور ، وكانت أحكام تلك الأمم بخلاف أحكامنا ، قال الله تعالى : ﴿ لكلٍّ جعَلْنَا منكم شِرْعَةً﴾ (المائدة : ٤٨) . ومنها [ما] جاء في الحديث نفسه أن توبة ذلك القاتل كانت بأن خرج من قريته قريةِ السوء إلى قريةِ قومٍ صالحين ، وهذا لا معنى له عندنا ولا في ديننا بإجماع الأمة . وقد كانت توبة بني إسرائيل بقتل أنفسهم . وهذا حرامٌ عندنا وفي ديننا لا يحلُّ ألبتة . ولعل ذلك القاتل المائة كان كافراً فآمن . فمحا إيمانه كل ما سلف له في كفره . فهذا أيضاً وجه ظاهر .

---

(١) انظر ابن ماجه (الديات : ٢) ومسند أحمد ٣ : ٢٠ ، ٤٢ . والحديث في صورة قصة ، فإن الرجل بعد أن قتل مائة عرضت له التوبة « فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل فأتاه فقال إني قتلت مائة نفس فهل لي من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، اخرج من القرية الخبيثة التي أنت بها إلى القرية الصالحة ، قرية كذا وكذا ، فاعبد ربك فيها . قال فخرج إلى القرية الصالحة فعرض له أجله في الطريق ، قال : فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ... » الخ .

وأما التوبة في شريعتنا فإنما هي التبرؤ من الذنب والخروج عنه بما أمكن ، إلا الكافر الحربي فإن توبته من كفره ومن كل ما قتل أو ظلم فإنما هو بالإسلام فقط واعتقاد العمل به وبشرائعه وليس عليه في ما قتل من المسلمين في حال كفره إذا أسلم وسدد وأصلح . والحمد لله رب العالمين .

فهدا جواب ما سألتم عنه ، وفقنا الله وإياكم للخير . وجعلنا في ديننا إخوانا على سرر متقابلين ، آمين . والحمد لله عَدَدَ خلقِهِ ورضى نفسه وزنةَ عرشه ومداد كلماته ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المسلمين وسلم تسليما كثيرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تمت رسالة التلخيص لوجوه التخليص